لغز القبر الملكي



محمود سالم

لغز القبر الملكي

تأليف
محمود سالم



لغز القبر الملكي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٠٨ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

الرجل الغامض

كان أمام منزل الدكتور «رياض» عالمِ الآثار المعروف زحامٌ غير عادي ... وكان «محب» عائدًا من عند الكوَّاء يحمل «فستان» والدته؛ فقد تأخَّر صبي الكوَّاء في العودة بـ «الفستان»، وذهبت الشغَّالة لتستعجله ولكنها لم تعد ... فرجته والدته أن يذهب بدرَّاجته، ويعود بـ «الفستان» حتى لا تتأخَّر عن موعدها في «القاهرة» هي ووالده. وأسرع «محب» بدرَّاجته، وحمل «الفستان»، ولكن الزحام الذي كان أمام منزل الدكتور «رياض» جذب انتباهه، فتوقَّف قليلًا يسأل عمَّا حدث، فأخذ كل واحد من الواقفين يروي حكايةً مختلفة. أحدهم قال: إن سرقةً وقعت بمنزل الدكتور، وآخر قال: إن رجلًا كان يجري قد اقتحم منزل الدكتور، وخلفه رجل آخر، وإنهما داخل المنزل. وقال ثالث: إن الدكتور استنجد بالشاويش «علي» لأن شخصًا اقتحم الفيلا، وإن رجال الشرطة داخل المنزل يُحقِّقون فيما حدث.

أثارت هذه المعلومات روح المغامرة في نفس «محب»، وأخذ يُفكِّر فيما يجب أن يفعله ... أيذهب بـ «الفستان» إلى والدته أولًا، ثم يعود ليرى ما يحدث أم يدخل الآن؟

وقال في نفسه: لا بأس ببضع دقائق أخرى تتأخَّرها والدتي ... ثم ترك الدرَّاجة بجوار الطوار (الرصيف)، وأخذ «الفستان» معه وأسرع يدخل منزل الدكتور «رياض»، ولكنه وجد شرطيًّا يقف أمام الباب يمنع الدخول، فوقف في طريقه قائلًا: إلى أين أنت ذاهب؟ الدخول ممنوع!

لم يتردَّد «محب» لحظةً واحدةً وقال: إنني صبي الكوَّاء، وقد أرسلني بهذا «الفستان» لزوجة الدكتور.

نظر الشرطي إلى ملابس «محب» النظيفة، وبدا في عينَيه الشك، وأدرك «محب» ما يدور بخاطره، فلم يترك له فرصةً للحديث، بل تقدَّم واجتاز الباب بدون كلمة واحدة. كانت فيلا الدكتور مزدحمةً بعدد غير قليل من رجال الشرطة، وبينهم بعض الضبَّاط

وبعض الرجال في ملابس مدنية، والجميع منهمكون في الحديث. وتجاوز «محب» الواقفين إلى غرفة أخرى، وفوجئ برجل ممدَّد على فراش وطبيب يُحاول إسعافه ومعه ممرِّض يُناوله الأدوية، وقد وقف الطبيب وبجواره بعض الرجال، وبينهم رجل عجوز وقور كان الجميع يُنادونه باسم الدكتور «رياض»، فعرف «محب» أنه العالم الأثري الشهير.

لم يلتفت أحدٌ إلى «محب» وهو يتجوَّل في أنحاء المنزل يحمل «الفستان» ويُحاول معرفة ما يحدث حوله ... وسمع «محب» من الرجل الراقد على الفراش صيحة ألم، ثم سمعه يهذي بكلمات غير مفهومة: القرن ... القرن ... ألف ... ألف ... ثم أطلق صيحة ألم، وسكت تمامًا. ورأى «محب» الطبيب وهو يحقن الرجل، ومرَّت فترة بدا فيها على الجميع السكوت والوجوم ... وأدرك «محب» أن الرجل يمر بأزمةٍ قد تودي بحياته، وسمع أحدَ ضُبَّاط الشرطة يتحدَّث مع الدكتور «رياض» قائلًا: هل تعرف هذا الرجل؟

أخذ الدكتور «رياض» ينظر من النافذة، وقد بدت عليه علامات تفكير عميق، ثم قال: لا أدري بالضبط ... إن وجهه ليس غريبًا عني، ولكن ذاكرتي لا تسعفني.

الضابط: ولماذا إذن لجأ إلى منزلك؟

الدكتور «رياض»: لا أعرف، لقد كنتُ أجلس مع زوجتي في طرف الحديقة عندما سمعنا صياحًا يرتفع وراء سور الحديقة، وصوت أقدام تجري وأولاد يتصايحون، ثم شاهدت هذا الرجل يقتحم الحديقة ورجلًا آخر يجري خلفه، ولم يرَني الرجلان، ودخلا الفيلا فأسرعت أدخل خلفهما لأعرف ماذا يحدث وماذا يقصدان من اقتحام الفيلا بهذا الشكل ... وعندما وصلت كان هذا الرجل مطروحًا على الأرض والآخر يضربه بشدة، ويخنقه. وعندما سمع صوت قدمَي التفت نحوي وحاول الهجوم عليَّ، وبالطبع لم أكن أستطيع مقاومته، وبخاصةٍ أنني وجدتُ رجلًا آخر يُحاول الهجوم عليَّ من جهة أخرى، فأسرعت أطلب نجدة ... وعندما عدتُ كانا قد اختفيا ... وحضر الشاويش «علي» وحضر خلفه رجال الإسعاف، ثم حضرتم أنتم ... هذا كل ما حدث.

الضابط: وما الشيء الذي يمكن أن يجعل هذا الرجل يأتي إلى منزلك؟

الدكتور: لا أدري!

الضابط: شيء غريب!

الدكتور: على كل حال لعله دخل الفيلا بالمصادفة ولا يقصد أن يُقابلني أنا بالذات.

الضابط: ممكن.

سمع «محب» هذا الحديث، وأخذ يتجوَّل في الفيلا باحثًا عن المكان الذي كان به الصراع، وسرعان ما وجد بساطًا قد تكرمش في أكثر من موضع، وكان واضحًا أن الصراع

بين الرجلَين دار فوقه … ورأى «محب» قطعةً صغيرةً جدًّا من الورق ممزقةً تمامًا ومتكوِّرةً ملقاةً على الأرض، فنظر حوله حتى تأكَّد أن أحدًا لا يراه، ثم قرَّر أن يضعها في جيب «الفستان».

نظر «محب» في ساعته … كانت الثامنة والنصف مساءً، وأدرك أنه تأخَّر، وسوف يتعرَّض لتأنيب والدته … فأسرع خارجًا، ولكن رجل الشرطة تعرَّض له مرةً أخرى قائلًا: لماذا خرجتَ بالفستان ولم تتركه لصاحبته؟

أجاب «محب» وهو يمرق من الباب مسرعًا: لقد اتضح لي أن «الفستان» يخص سيدةً أخرى … آسف جدًّا.

ولكن المسألة لم تنتهِ عند هذا الحد؛ ففي تلك اللحظة ظهر الشاويش «علي»، ولم يكد يرى «محب» حتى صاح: أنت! … ماذا تفعل هنا؟

ارتبك «محب» ولكنه أسرع يُجيب: لا شيء يا حضرة الشاويش … لقد لفت نظري هذا الحشد من الناس، فجئت لأرى ماذا حدث.

الشاويش: وهل دخلتَ المنزل؟

وقبل أن يُجيب «محب» قال الشرطي الواقف على الباب: لقد قال لي إنه صبي الكوَّاء، فسمحتُ له بالدخول.

الشاويش: سمحتَ له بالدخول؟! ألَا تعرف أنه أحد الشياطين الخمسة الذين يُسمُّون أنفسهم المغامرين الخمسة … وأنهم إذا وُجدوا في مكانٍ فإنهم سيتدخَّلون فيما لا يعنيهم … وأنهم سيأخذون الأدلة التي يجب أن يحصل عليها رجال الشرطة؟!

ودقَّ قلب «محب» سريعًا، وتذكَّر قطعة الورق التي حصل عليها، ولكنه اطمأن؛ لأنها في جيب «الفستان» حيث لا يتصوَّر أحد أنها مخبَّأة هناك.

كان الموقف محرجًا، وكان ذهن «محب» يعمل بسرعة للتخلُّص من هذا المأزق، ولكن الحل جاء بأسرع ممَّا تصوَّر؛ فقد ظهر أحد الضبَّاط على السلَّم، وطلب من الشاويش الحضور، ولم يكد الشاويش يُحوِّل نظره إلى الضابط حتى كان «محب» قد انطلق كالسهم، وقفز إلى درَّاجته وأسرع إلى منزله.

كانت والدة «محب» تقف في الشرفة، فلم تكد تراه حتى صاحت تستعجله، فقفز السلَّم قفزًا، وسلَّمها «الفستان»، ثم أسرع إلى التليفون يتحدَّث إلى «تختخ» وروى له ما حدث، فقال «تختخ»: تعالَ نتقابل عند فيلا الدكتور «رياض» لنعرف ماذا تمَّ هناك.

ومرةً أخرى انطلق «محب» على درَّاجته، وعند فيلا الدكتور «رياض» التقى مع «تختخ» الذي لم يكد يراه حتى قال: هل أحضرتَ الورقة معك؟

محب: الورقة؟!

تختخ: نعم الورقة التي وجدتها مكان الصراع بين الرجلَين!

وخبط «محب» جبهته بيده … فقد نسي الورقة في «الفستان»! وهزَّ رأسه وهو يقول بحزن: تصوَّر، لقد نسيت الورقة!

تختخ: غير معقول!

محب: هذا ما حدث فعلًا!

تختخ: هل تعرف أن هذه الورقة كان يجب أن تُسلَّم إلى رجال الشرطة! لقد كان من الخطأ أن تأخذها، وكانت فكرتي أن نطَّلع عليها ثم نُعيدها.

محب: الحقيقة أنني فكَّرتُ في هذا أيضًا، وكنتُ سأُعيد الورقة بعد أن أطَّلع عليها.

تختخ: والآن لا بد من العثور على الورقة فورًا!

محب: هيا بنا نعود إلى منزلنا.

ومرةً أخرى انطلقا مسرعَين على درَّاجتَيهما إلى منزل «محب»، ولكن المفاجأة التي كانت في انتظارهما أن والدة «محب» كانت قد ارتدت «الفستان» وخرجت، ودخل «محب» غرفة والدته، وحضرت «نوسة»، واشتركا في البحث عن الورقة، في حين كان «تختخ» يجلس في غرفة الصالون ينتظرهما، ولكن لم تكن الورقة في الغرفة.

عندما خرج «محب» إلى «تختخ» كان واضحًا على وجهه أن الورقة قد اختفت، وقال «محب» بصوت مختنق: هناك أمل أخير … أن تظل الورقة في جيب «فستان» والدتي حتى تعود.

تختخ: إنه احتمال ضعيف؛ فلا بد أنها ستضع يدها في جيب فستانها وستجد الورقة المكرمشة وسوف تُلقيها في أي مكان تكون فيه.

محب: هل نعود إلى مكان الحادث الآن … ونتعلَّق بالأمل أن تكون والدتي قد احتفظت بالورقة؟

تختخ: هيا بنا.

وتدخَّلت «نوسة» في الحديث قائلة: إنني أعرف المكان الذي ذهبت إليه والدتي، وسأبحث عن رقم التليفون وأتصل بها هناك؛ لعلها لم تُلقِ بالورقة بعيدًا.

انصرف الصديقان، ووصلا إلى مكان الحادث، فإذا الزحام على باب فيلا الدكتور «رياض» قد خفَّ، فقال «تختخ»: انصرف رجال الشرطة، والمهم أن نعرف ماذا حدث للرجل!

محب: هل نطلب مقابلة الدكتور «رياض»؟

فكَّر «تختخ» قليلًا، ثم قال: ليس الآن … وبعد كل هذه الأحداث تعالَ نسأل الكوَّاء الذي كنتَ عنده؛ فهو قريب من بيت الدكتور، ولا بد أن عنده بعض الأخبار.

واتجها معًا إلى الكوَّاء، وسأله «محب» عمَّا حدث في فيلا الدكتور «رياض» فقال: لقد نقلوا الرجل إلى المستشفى؛ فإن الإسعافات التي قاموا بها لم تكن كافية.

لم يعُد أمام الصديقَين ما يفعلانه، فانصرف كلٌّ منهما إلى منزله على أن يلتقيا في الصباح؛ لمعرفة ماذا حدث للورقة التي في جيب «الفستان».

عربة «الزبالة»

ظلَّ «محب» ساهرًا في انتظار عودة والده ووالدته من السهرة التي ذهبا إليها؛ فقد حاولت «نوسة» الاتصال بهما، ولكن التليفون الذي كانت تعرف رقمه لم يكن يرد ... وهكذا لم يبقَ أمام «محب» إلا أن ينتظر، أمَّا «نوسة» فقد قرأت قليلًا في كتاب كانت تحمله، ثم قامت لتنام.

مضت الساعات بطيئةً و«محب» يُفكِّر في سر الرجل الهارب والرجلَين اللذَين حاولا قتله، والورقة الضائعة ... وانتصف الليل وهو ما زال ساهرًا يُفكِّر، وأحسَّ بالنوم يُغالبه فقرَّر أن ينام على أن يسأل والدته في الصباح، لكنه لم يكَد يدخل غرفته حتى سمع صوت سيارة والده وهي تدخل الجراج، فعاد إلى البهو (الصالة)، وانتظر حتى دخلت والدته، فلمَّا رأته ابتسمت قائلة: مساء الخير يا «محب»، لماذا أنت سهران حتى الآن؟

بادل «محب» والدته بسمتها، ثم قال: سأسألك عن شيء كان في جيب «فستانك»!

زوت الأم حاجبَيها وقالت: في جيب «فستاني»؟!

ردَّ «محب»: نعم ... إنها ورقة صغيرة كنت قد وضعتها في جيب «الفستان»!

فكَّرَت الأم، ثم قالت: تذكَّرت ... ففي أثناء الحفل وضعتُ يدي في جيبي مصادفة، وعثرتُ فعلًا على ورقة صغيرة، وقد أدهشني وجودها في جيب «الفستان»، وقد كلَّفتُ أحد الشغَّالين أن يُلقي بها في صندوق «الزبالة»!

أحسَّ «محب» بالحزن وقال: في صندوق «الزبالة»؟

قالت والدته وهي تدخل غرفتها لتخلع ثيابها: نعم، لقد كانت ورقةً قديمةً وقذرة، ولم أجد ما يدعو إلى الاحتفاظ بها ... هل تهمك؟

محب: إنها تُهمُّني جدًّا!

الوالدة: لعلها أحد الأدلة في أحد الألغاز.

محب: بالضبط!

الوالدة: ولماذا وضعتَها في جيبي؟

محب: كانت هناك أسباب قوية لهذا ... المهم أين كنت؟

الوالدة: لماذا؟

محب: سأذهب غدًا للبحث عن الورقة حيث ألقيتِ بها.

الوالدة: غير معقول يا «محب»! أهي مُهمَّة إلى هذا الحد؟

محب: نعم، إنها في غاية الأهمية ... أرجوكِ أن تقولي لي العنوان.

الوالدة: إنه منزل الأستاذ «سعيد عثمان»، ٩ شارع عرابي بالعجوزة بالدور السادس، شقة ٢٤.

محب: شكرًا، وتصبحين على خير.

وانصرف «محب» إلى غرفته بعد أن تبادل هو ووالده تحية المساء، وألقى بنفسه على الفراش، وفكَّر قليلًا، ثم استسلم للنوم بعد أن ضبط المنبِّه على الخامسة صباحًا ليستيقظ مبكِّرًا، ويذهب للبحث عن الورقة في صندوق «الزبالة» في العنوان الذي ذكرَته له والدته.

في الخامسة والنصف صباحًا كان «محب» يُغادر منزله وحيدًا. لقد قرَّر أن يذهب للبحث عن الورقة وحده بدون أن يتصل بأحدٍ من الأصدقاء في هذه الساعة المبكرة من الصباح. وبعد رحلة سريعة على الأقدام، كان يستقل المترو إلى «القاهرة». وفي محطة باب اللوق ركب الميكروباس الصغير الذي يصل إلى قرب جسر (كوبري) الزمالك. ومرةً أخرى استخدم قدمَيه وسأل عن العنوان حتى وصل إليه، واتضح له أن العمارة ليس بها مصعد، فأخذ يقفز السلالم قفزًا ... وعندما وصل إلى الدور السادس كان متسارع الأنفاس، ولكن ما يهمه كانت صفيحة «الزبالة» التي أمام الشقة ... وكم كانت حسرته عندما نظر فيها فوجدها فارغة! وأخذ ينظر ويُدقِّق النظر في الصفيحة؛ لعل الورقة تكون ملتصقةً بأحد جوانب الصفيحة، ولكنها كانت نظيفةً تمامًا. وفي اللحظة التي قرَّر فيها أن يعود فُتح الباب، وأطلَّ وجه صبي طويل القامة أشقر الشعر، وتبادل الصبيَّان النظرات ... وأحسَّ «محب» أن من واجبه أن يُوضِّح ماذا يفعل في هذه الساعة المبكِّرة أمام الشقة، فقال: آسف جدًّا ... فقدت والدتي شيئًا عندما كانت عندكم أمس.

قال الصبي الأشقر: هل كانت في الحفلة التي أقمناها ليلًا؟

محب: نعم.

الصبي: وماذا فقدت؟

تردَّد «محب»، ثم قال: إنه شيء ليس له قيمة مادية ... مجرَّد قطعة قديمة من الورق.

الصبي الأشقر: قطعة قديمة من الورق! ... وما قيمتها إذن؟

محب: إنني الذي أبحث عنها؛ فقد تحل لغزًا أو تكشف سرًّا.

الصبي: وهل أنت من هواة حل الألغاز وكشف الأسرار؟

محب: نعم، ومعي أربعة أصدقاء، ونُسمِّي أنفسنا المغامرين الخمسة.

الصبي: إنني أسمع عنكم، واسمي «ياسر» ... لقد جئتَ متأخِّرًا بضع دقائق؛ فقد حضر «الزبال» وأفرغ صفيحة «الزبالة» منذ عشر دقائق فقط.

محب: وهل تعرف أين يذهب بعد ذلك؟

ياسر: إنه يتجه بعد ذلك إلى المنازل المجاورة، ثم ينتهي به المطاف في مدينة الصحفيين القريبة.

محب: صف لي مكان مدينة الصحفيين.

ياسر: إنني ذاهب بالمصادفة إلى هناك، عند صديق لي يُدعى «أشرف»؛ لأننا سنقوم برحلة إلى الهرم فتعالَ معي.

نزل الصبيان يقفزان السلالم قفزًا في طريقهما إلى مدينة الصحفيين؛ فقد رأى «محب» أنه لن يستطيع تتبُّع «الزبال» من منزل إلى آخر، ومن الأفضل له أن ينتظره في آخر مكان يصل إليه.

كان هواء الصباح رقيقًا وباردًا، ومضى الولدان يتحدَّثان حتى شاهدا عربة «الزبالة» تنحرف داخلةً إلى حيث تقع مدينة الصحفيين، فسارا خلفها، و«محب» يُفكِّر في طريقة للحديث مع الولد السمين الذي كان يقود العربة، وهو شبه نائم، وفجأةً قال «ياسر»: نستطيع أن نتحدَّث معه عندما يصل إلى منزل «أشرف»، فتعالَ نسبقه إلى هناك.

عندما وصلا إلى الشارع الذي يسكن فيه «أشرف» لمحاه من بعيد يقف أمام حديقة منزلهم يُداعب كلبًا رماديًّا، فلما رآهما أسرع إليهما، وخلفه الكلب يجري في سعادة. وتعرَّف «محب» ﺑ «أشرف»، وشرح «ياسر» سبب حضور «محب»، فقال «أشرف»: هذا الولد ابن «الزبال» ويُدعى «جمعة»، وأنا أعرفه وسوف أتحدَّث إليه.

وعادوا معًا إلى حديقة منزل «أشرف» حيث دعاهما إلى فنجان من الشاي، ولم يكادوا يفرغون منه حتى وصلت عربة «الزبالة» يجرُّها الحمار، ووقفت أمامهم، فقال «أشرف»: انتظراني لحظات.

ثم انطلق إلى «جمعة» «الزبال» وأخذ يتحدَّث معه، ثم أخرج خمسة قروش أعطاه إياها، فسُرَّ بها كثيرًا.

أمام منزل «أشرف» قطعة أرض خالية لم يكن بها شيء، وسرعان ما اتفق الأصدقاء مع «جمعة» على تفريغ حمولة العربة بها، والبحث عن الورقة، ثم إعادة «الزبالة» إلى مكانها.

وبعد لحظات كانت عربة «الزبالة» قد أُفرغت على الأرض، وكانت مُهمَّةً شاقةً للأربعة أن يبحثوا بين كل هذه المخلَّفات عن الورقة ... وبخاصةٍ أن «محب» فقط هو الذي يعرف شكلها ... وحتى هو لا يعرفها جيدًا؛ فكل ما يتذكَّره منها كان لمحةً خاطفةً عندما شاهدها في مكان الصراع بمنزل الدكتور «رياض».

كان الصديقان «ياسر» و«أشرف» متحمسَين لمساعدة «محب»؛ فلم يتردَّدا في تقليب «الزبالة» برغم القاذورات، أمَّا «جمعة» فقد جلس تحت شجرة واستغرق في نوم عميق.

بين لحظة وأخرى كان أحد الصديقَين يعثر على قطعةٍ ممزَّقة من الورق فيصيح: وجدتها! ثم يعرضها على «محب» الذي كان يتأمَّلها ثم يضعها جانبًا. ومضت ساعة أتمَّ فيها الثلاثة مهمَّتهم الصعبة، وكانت حصيلة الساعة ست قطع من الورق، كلٌّ منها تُشبه الورقة التي يبحث عنها «محب»، فطواها جميعًا، ووضعها في مظروف أحضره «أشرف» من منزلهم، ثم أعادوا «الزبالة» إلى العربة، ودخل الثلاثة بعد ذلك منزل «أشرف»، حيث اغتسلوا جيدًا، وشكرهما «محب» ووعدهما بزيارة قريبة، ثم انطلق عائدًا إلى المعادي.

في التاسعة تقريبًا كان «محب» يجلس مع «نوسة» في حديقة منزلهما، بعد أن اتصلا ببقية الأصدقاء؛ «تختخ» و«عاطف» و«لوزة». وكان «محب» يتناول طعام إفطاره، ويروي لـ «نوسة» رحلة الصباح، ومعرفة الولدَين الظريفَين اللذَين قابلهما. وكانت قطع الأوراق الست منشورةً في الشمس؛ فقد كان بعضها ملوَّثًا ببقايا المأكولات.

بعد دقائق وصل «تختخ»، ثم تبعه «عاطف» و«لوزة»، وجلس الأصدقاء ومعهم الكلب «زنجر»، يستعيدون تفاصيل حوادث الأمس.

وقالت «لوزة»: لغز ... أشم رائحة لغز.

قال «عاطف»: إنني لا أشم سوى رائحة «الزبالة»!

تختخ: إن لـ «لوزة» أنفًا بوليسيًّا يشم الألغاز، وأنا أثق في قدرتها على معرفة اتجاه الريح ... ريح الألغاز طبعًا.

عاطف: على كل حال هذه ست ورقات قديمة وقذرة، فأين اللغز فيها؟! إنني ألمح في إحداها كشف حساب أحد البيوت، كشف الخضار واللحم والصابون ... فإذا كان فيها لغز فلا بد أن نُسمِّيه لغز البقَّال الأحمر، أو لغز الجبنة الرومي، أو لغز البطاطس المشوية.

لوزة: إنك لا تكف عن إرسال نكاتك كالقذائف الصاروخية! ولكن ألَا ترى أننا لا نضحك؟!

عاطف: لا يُهمُّني أن تضحكوا أو تبكوا ... إن ما يُهمُّني حقًّا أننا نُضيِّع وقتنا وراء ورقة قديمة قذرة، ونتصوَّر أننا سنخرج منها بلغز يهز الدنيا!

وفجأةً قالت «نوسة»: لماذا لا نتصل بالمفتش «سامي»؟ ... لعل الرجل المصاب قد روى قصته ولا نحتاج إلى الورقة أو غيرها.

كانت فكرة، وسرعان ما أحضرت «نوسة» جهاز التليفون وقدَّمته إلى «تختخ» الذي رفع السماعة وأدار القرص، وسمع صوت المفتش «سامي» على الطرف الآخر يرد. وروى «تختخ» للمفتش كل ما حدث في الليلة الماضية وفي صباح اليوم، ولاحظ «تختخ» أن المفتش يستمع باهتمام بالغ، ثم سمعه يقول: إن الأمور تطوَّرت تطوُّرًا خطيرًا ... لقد قام رجال مجهولون بخطف الرجل المصاب بدون أن نعرف عنه أي شيء. خطفوه من المستشفى عن طريق النافذة، ولم يبقَ عندنا أي دليل عمَّا حدث ... ويُهمُّني جدًّا أن أرى هذه الورقة ... سأحضر حالًا.

ووضع «تختخ» السمَّاعة في مكانها، ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: أيها المغامرون، إن الورقة القديمة القذرة أهم كثيرًا ممَّا تتصوَّرون!

ونظرت «لوزة» إلى «عاطف»، ولكن «عاطف» أدار وجهه إلى ناحية أخرى حتى لا يرى نظرات «لوزة» الساخرة.

ورقة قديمة قذرة

عندما وصل المفتش «سامي» كان معه أحد ضبَّاط البحث الجنائي يحمل عدسةً مكبِّرةً لفحص الأوراق. وقد بدأ المغامرون الخمسة والمفتش «سامي» والضابط «أحمد» عملهم في فحص الورق فورًا، وأخذ «تختخ» يُدوِّن مواصفات كل ورقة وما عليها.

الورقة الأولى: كشف حساب منزلي ... به كيلو لحم كندوز، و٢ كيلو كوسة، وكيلو طماطم، وحسابات أخرى. وفي ظهر الورقة حساب آخر به مرتب موظَّف ووجوه إنفاق هذا المرتب.

الورقة الثانية: صفحة منزوعة من كتاب مذكِّرات سياسي مصري عن ثورة ١٩١٩م، ودور «سعد زغلول» فيها. وفي ظهر الورقة الحديث نفسه عن الثورة.

الورقة الثالثة: ورقة صغيرة مقطوعة من جريدة يومية تتحدَّث عن سرقة وقعت في منزل أحد أساتذة الجامعات في أثناء سفره مع أسرته إلى المصيف، ونوع المسروقات. ولم يكن بالورقة تفاصيل عن القبض على الجناة، وإنما كان بها أن المسروقات تُساوي ألف جنيه.

الورقة الرابعة: ورقة من كراسة تلميذ في المدرسة يدرس الجبر، وقد كانت المسألة المطلوب حلها صعبة، ولكن التلميذ استطاع حلَّ المسألة.

الورقة الخامسة: ورقة من جريدة غير معروفة الاسم، فيها تهنئة من ناظرة مدرسة تُهنِّئ المربي الفاضل الأستاذ «جعيص» بترقيته مديرًا عامًّا. وظهر الورقة مطموس تمامًا عدا كلمات هي: مصر منذ ٤ آلاف سنة.

الورقة السادسة: ورقة من جريدة الجمهورية بها عنوان كبير: «وقَع ملك التزييف.» ثم كلمات مطموسة: «زوَّر ختمًا رسميًّا ... بضائع ...» وفي ظهر الورقة صورة لفريق رياضي غير معروف في مصر.

بعد أن انتهى فحص الأوراق قال المفتش: إننا نستطيع استبعاد ورقة حساب اللحمة والخضار، كما نستطيع استبعاد ورقة السياسي الذي يتحدَّث عن ثورة ١٩١٩م، والورقة الخاصة بالتلميذ النابغة الذي استطاع حل مسألة الجبر، فتبقَّى عندنا ثلاث ورقات يمكن أن نهتم بها ... الورقة التي تتحدَّث عن سرقة منزل أستاذ الجامعة.

وهنا قال «محب»: يجب أن نتذكَّر أن هذه الورقة فيها تقدير للمسروقات بأنها تُساوي ألف جنيه، وقد كان الرجل يهذي بكلمة: ألف ... ألف ... في أثناء وجودي في منزل الدكتور «رياض».

قال المفتش: هذه ملحوظة مُهمَّة جدًّا، وسوف أبحث هذا الحادث، وأرى ما جرى فيه، وهل قُبض على اللصوص أولًا.

ثم مضى المفتش يقول: وهناك الورقة الخاصة بالمدير «جعيص»، ولا أظن أنها تُهمُّنا في شيء، وهي الورقة الخامسة. ثم هناك الورقة السادسة، وهي مُهمَّة جدًّا، وفيها عنوان: «وقع ملك التزييف»، فلعل هناك أسرارًا أخرى لم تُكتشف عن هذا الملك المزيِّف.

وطوى المفتش الورقتَين قائلًا: شكرًا للمغامرين الخمسة، وسوف أتصل بكم إذا ظهر شيء هام.

وانصرف المفتش «سامي» ومعه الضابط، وجلس المغامرون الخمسة وقد كسا وجوههم الوجوم ... فقد ظنوا أنهم كانوا في أثر شيء هام، ثم اتضح أنهم كانوا واهمين.

ومرةً أخرى وجد «عاطف» الفرصة للسخرية فقال: لقد انتهت المسألة بحصولنا على أربع ورقات قديمة ... ربما كان أهم ما فيها مسألة الجبر التي حلَّها الطالب النجيب ... وكشف اللحم والكوسة الذي قد نستفيد منه في مستقبل أيامنا عندما نكبر، وورقة السياسي ... وورقة الأستاذ «جعيص»!

وأمسكت «لوزة» بالورقات التي تركها المفتش والتي تقرَّر إهمالها لعدم أهميتها، وأخذت تُعيد النظر في ورقة حسابات الأكل، وقالت بصوت هامس: أليس من الممكن أن تكون عليها كتابة بالحبر السري مثلًا؟

سمع «تختخ» كلمة الحبر السري فقال: نستطيع إجراء تجرِبة؛ فنحن نعرف أن بعض أنواع الحبر السري تظهر بتسخين الورقة ... هاتي مكواةً ساخنةً يا «نوسة».

وأسرعت «نوسة» إلى داخل المنزل، ومضت بضع دقائق والأصدقاء يتبادلون بعض الأحاديث، ثم عادت «نوسة» ومعها مكواة كهربية ساخنة ... وتجدَّد الأمل في العثور على كتابة بالحبر السري، وأمسك «تختخ» بالورقة الأولى ورقةِ حساب اللحم والخضار ...

وأجرى المكواة على وجهها فلم يظهر شيء على الإطلاق، وبقيت الورقة كما هي؛ مجرَّد حساب الغذاء في منزل ما.

ومرةً أخرى جرَّب «تختخ» المكواة على الورقة الثانية، ورقة الطالب النجيب الذي حلَّ مسألة الجبر ... وتعلَّقت أنظار الأولاد بالورقة ... ولكن المكواة مضت عليها بدون أن تُظهر أي شيء ... وبقيت الورقة مجرَّد امتحانٍ لتلميذ مذاكر، وكذلك كانت ورقة السياسي الذي أرَّخ لثورة ١٩١٩م.

لم يبقَ سوى ورقة الصحيفة، ولم يكن ممكنًا أن يكون عليها أي كتابة، ولكن «لوزة» بإصرارها العجيب أمسكت بالمكواة وأخذت تمر بها على الورقة، وقد تعلَّقت عيناها بها ... ولكن الورقة بقيت كما هي؛ مجرَّد ورقة تحية من ناظرة إلى الأستاذ «جعيص».

ولم يعُد هناك ما يمكن عمله، وبدا اليأس على الوجوه لولا أن ظهر آخر من كانوا يتوقَّعون ... الشاويش «فرقع»!

دخل الشاويش الحديقة مهرولًا، وعندما وصل إلى الأصدقاء صاح: أين سيادة المفتش؟

ونظر إليه «عاطف» في بلاهة وقال: المفتش؟! إننا لسنا في أوتوبيس يا حضرة الشاويش!

الشاويش في غضب: لا تدَّعوا العبَط! ... إنني أسأل عن المفتش «سامي».

عاطف: المفتش «سامي»؟ آه، إنه ليس موجودًا الآن ... تعالَ وفتشني.

كان وجود الشاويش كافيًا لإنعاش الأصدقاء، وتبادلوا النظرات، واتفقوا بدون كلمة واحدة على أن يعرفوا من الشاويش أخر تطوُّرات التحقيق، وهل وصل إلى شيء؟

قال «تختخ» بخبث شديد: لقد جاء المفتش خلف أدلة قيل إنها ظهرت عن الرجل الذي وُجد في منزل الدكتور «رياض».

الشاويش: نعم، لقد حضرتُ من أجل هذه الأدلة ... أين المفتش؟

تختخ: إنه يبحث الأدلة الآن.

الشاويش: أين؟

تختخ: لن نقول لكَ حتى تقول لنا ما هي الأدلة الجديدة.

الشاويش: أرجوكم بسرعة ... أُريد أن أعرف مكان المفتش ... قد سألتُ عنه في مكتبه، فقالوا لي إنه حضر إلى المعادي.

تختخ: يا حضرة الشاويش، لقد جاء المفتش إلى هنا، وعرفنا كل شيء عمَّا حدث، واختطاف الرجل من المستشفى، ومن الأفضل أن تقول لنا معلوماتك الجديدة؛ حتى ندلَّكَ على مكان المفتش.

شعَر الشاويش أن رأسه يكاد ينفجر من الغيظ، ولكن لم يكن أمامه إلا أن يقول ما عنده، فقال: لقد قال لي أحد الممرِّضين إن الرجل المصاب كان يهذي باسمه طول الوقت ويقول: أنا «الروبي» … «الروبي» … الدكتور «رياض» «رياض».

تختخ: هل هذا كل ما حصلتَ عليه؟

الشاويش: وهل تظنني أكذب؟ أين سيادة المفتش؟

تختخ: إنه في مكتبه.

وكأنما انفجرت قنبلة في وجه الشاويش. لقد استطاع هؤلاء الأولاد العفاريت أن يضحكوا عليه … حصلوا على المعلومات ولم يقولوا له أين المفتش، فصاح وهو في أقصى حالات ثورته: هل هذا كل ما تعرفه؟

تختخ: وهل تظنني أكذب؟

كان الرد أكثر ممَّا يحتمله الشاويش فصاح: فرقعوا من وجهي! … فرقعوا جميعًا!

وهزَّ «عاطف» رأسه في أسًى وقال: أظن أننا لن نستطيع الفرقعة من هنا يا حضرة الشاويش؛ فنحن في منزلنا.

واكتشف الشاويش حقًّا أنهم في منزل واحد منهم وليسوا في الشارع، فاستدار على عقبَيه وغادر الحديقة وهو يتوعَّد الأصدقاء، ولكن الكلب «زنجر» الذي ظلَّ هادئًا طوال الوقت لم يُعجبه الوعيد، فطار خلفه، وأعمل أسنانه برفق في إحدى قدمَيه، ممَّا جعل الشاويش يقفز جاريًا وقد ارتفع صوته بمزيدٍ من التهديد، ثم قفز إلى درَّاجته واختفى.

عاد «زنجر» يهز ذيله، في حين انهمك الأصدقاء في مناقشة ما سمعوا من الشاويش … لقد اتضح الآن أن الرجل «الروبي» كان يقصد منزل الدكتور «رياض» حقًّا ولم يكن ذلك بالمصادفة، وهذا دليل هام نحو معرفة الحقيقة … فما هي علاقة الدكتور «رياض» بهذا الرجل؟! … ولماذا كان «الروبي» يُريد مقابلةَ الدكتور؟ وهل هذه المقابلةُ لها علاقةٌ بورقةٍ من الأوراق التي وجدها «محب»؟ كانت الأسئلة كثيرةً كالمعتاد … والإجابات قليلة … وقال «محب»: تعالَوا نحاول مقابلة الدكتور «رياض» … إن مناقشةً معه قد تكون مفيدةً في كشف بعض الحقائق. لقد قال الدكتور «رياض» في أثناء التحقيق الأوَّلي إنه يذكر هذا الرجل … «الروبي». طبعًا لم يقل الدكتور إنه يذكر اسمه، لكنه قال إنه يذكر شكله … ولعله — لو قلنا له الاسم — يتذكَّر الرجل. وافق الأصدقاء على الاقتراح وركبوا درَّاجاتهم، وخلفهم «زنجر»، واتخذوا الطريق إلى منزل الدكتور «رياض».

عندما وصل الأصدقاء إلى فيلا الدكتور «رياض» كانت مفاجأةً لهم أنه وجدوا الفيلا مغلقة، وباب الحديقة مغلقًا، والنوافذ مغلقة … كل شيء كان مغلقًا.

دار الأصدقاء حول الفيلا مرتَين ... فلم يجدوا منفذًا إلى دخولها، ولم تكن هناك حياة؛ وبحث الأصدقاء عن البستاني أو البوَّاب، ولكن أحدًا منهما لم يكن موجودًا ... ولم يكن أمامهم إلا اللجوء مرةً أخرى إلى الكوَّاء ... وتقدَّم منه «محب» لأنه تعامل معه من قبل، وسأله عن الدكتور «رياض» فقال: لقد أغلقتُ باب الدكَّان أمس بعد منتصف الليل ... ربما في الواحدة والنصف صباحًا، وكان الدكتور «رياض» ما زال ساهرًا؛ فقد كان عنده ضيوف حضروا في سيارةٍ كبيرة، ومررتُ أمام الفيلا فوجدتُ نافذة غرفته مفتوحة، وسمعتُ حوارًا بين عدد من الأشخاص بصوت مرتفع، وكأنهم في خناقة ... وذهبت إلى منزلي، وعندما عدتُ في الصباح وجدتُ الفيلا مغلقةً تمامًا، وليس بها أثر لحياة.

عاد «محب» فروى للأصدقاء ما سمعه، وأحسُّوا جميعًا أن اللغز يزداد تعقيدًا ... وقالت «نوسة» معلِّقة: إنه لم يعد لغز «الروبي» وحده ... لقد أصبح لغز الدكتور «رياض» أيضًا. واتجهوا جميعًا متثاقلين إلى منازلهم.

الورقة الثالثة

في صباح اليوم التالي اتصل المفتش «سامي» بـ «تختخ»، ودار بينهما حديث طويل حول الرجل الذي خُطف، والرجل الذي غاب؛ الدكتور «رياض»، وعن الأوراق التي أخذها المفتش «سامي» معه لبحثها ... قال المفتش: إن الورقة الخاصة بسرقة منزل أحد مديري الجامعات منزوعة من جريدة الأخبار، وقد تمكَّن رجال الشرطة من القبض على العصابة التي سرقت المنزل، وهم جميعًا الآن في انتظار المحاكمة ... وليس هناك أي لغز وراء هذه السرقة، وبخاصةٍ أن المسروقات قد رُدَّت إلى صاحبها، ولم تعُد هناك ذيول لحادث السرقة.

قال «تختخ»: والورقة الثانية؟

ردَّ المفتش: الورقة الثانية الخاصة بملك التزييف تتعلَّق برجل كان يُجيد التزييف، وقد زيَّف الشهادات والأوامر الإدارية وغيرها من الأوراق الحكومية. وقد وأوقع به رجال الشرطة ... وصادروا أدوات التزييف، ولم يعُد هناك شيء خفي حول هذا الموضوع. وقد فحصنا كل شيء في هذه القضية ولم نجِد شيئًا يستحق الذكر ... لا أسرار أو ألغاز، ولا علاقة لملك التزييف هذا بالرجل المدعو «الروبي»، ولا بالدكتور «رياض» ولا بأي شيء ممَّا حدث في المعادي!

تختخ: معنى ذلك أن «محب» كان واهمًا عندما تصوَّر أن الورقة التي وجدها في منزل الدكتور «رياض» لها علاقة بالرجل المطارَد.

المفتش: أو أن الورقة التي كان لها قيمة لم يعثر عليها «محب» في عربة «الزبالة»؛ فمن الصعب أن تعثر على ورقةٍ صغيرةٍ في كل هذه الأوراق وبقايا الطعام وغيرها من قمامة المنازل.

تختخ: شيء غاية في الغرابة! ... ولكن ما رأيك في اختفاء الدكتور «رياض»؟

المفتش: لا أظن أننا يجب أن نُطلق عليه اسم اختفاء؛ فقد يكون الرجل قد سافر للمصيف، أو ذهب في زيارة، أو شيء من هذا القبيل، ولعله يعود بين لحظة وأخرى، وعلى كل حال سوف أُكلِّف بعض رجالي بالبحث عنه.

تختخ: يبدو أن هذا اللغز كان مجرَّد فقَّاعة في الهواء.

المفتش: لا تنسَ أن هناك رجلًا خُطف من المستشفى.

تختخ: لعلَّه لم يُخطف، بل ترك المستشفى بمحض إرادته عن طريق النافذة.

قال المفتش ضاحكًا: في هذه الحالة يمكن اتهامكم بإزعاج السلطات بدون مسوِّغ، وهذه جريمة عقوبتها الغرامة.

تختخ: سندخر الغرامة حتى تتصل بنا.

انتهت المكالمة، وترك «تختخ» نفسه لتفكير عميق ... أهناك لغز حقًّا أم مجموعة مصادفات؟ وهل كان «الروبي» يقصد منزل الدكتور «رياض» حقًّا بدليل أنه كان يهذي باسمه، أو أن قصده دكتور «رياض» آخر؟!

وقطع عليه حبل تفكيره صفارة من الحديقة عرف فيها صفارة «عاطف»، فأطل من النافذة، فشاهد «لوزة» و«عاطف» في الحديقة، وأشارا له بالنزول، فأسرع ينزل، وروى للصديقَين ما قاله له المفتش «سامي».

قال «عاطف»: إن «لوزة» عندها إحساس كالمعتاد بأن ورقةً من الأوراق الثلاث التي استبعدناها فيها رائحة لغز. وما دمتَ تثق بإمكانيات أنف «لوزة» فاسمع منها.

قالت «لوزة» وهي تُخرج الورقة من جيبها: إن الورقة التي أقصدها هي الورقة التي تُهنِّئ فيها إحدى ناظرات المدارس الأستاذ «جعيص» بترقيته إلى منصب مدير.

قال «تختخ»: لا أظنك يا «لوزة» تقصدين أن اللغز الذي نبحث عنه متعلِّق بهذه التهنئة!

وأضاف «عاطف» ساخرًا: أو بالأستاذ «جعيص»!

ردَّت «لوزة»: انتظرا قليلًا من فضلكما. لقد اهتممنا بأحد وجهَي الورقة الذي به بعض الكلمات الواضحة، ونسينا الوجه الآخر وعليه كلمات: منذ ٤ آلاف سنة ... ومنذ أربعة آلاف سنة كان الفراعنة يحكمون مصر.

تختخ: وماذا في ذلك؟! هل التاريخ المذكور هو موضوع اللغز؟

لوزة: نعم ... هذا ما أقصد!

تختخ: كيف؟

لوزة: لسبب بسيط غاب عنا … هو أن الدكتور «رياض» عالم آثار فرعونية، وهذا الرجل «الروبي» لجأ إليه، وفي يده ورقة خاصة بأحد الفراعنة؛ فهناك إذن صلة بين الدكتور «رياض» وفرعون الذي حكم مصر من ٤٠٠٠ سنة!

نظر «تختخ» إلى «عاطف»، ونظر «عاطف» إلى «تختخ»، ثم نظر الاثنان إلى «لوزة» … لقد كان في كلامها كثير جدًّا من المنطق.

وأضافت «لوزة»: إنني أُريد أن أعرف اسم الجريدة التي نشرت الموضوع الخاص بالأستاذ «جعيص» أو فرعون؛ لعلَّ في المقال الذي نُشر عن فرعون ما يكشف لنا شيئًا من هذا اللغز.

تختخ: معكِ حق.

ومدَّت «لوزة» يدها بالورقة إلى «تختخ» وأضافت: لقد تحدَّثتُ مع «نوسة» وطلبتُ منها أن تبحث عن الأُسرة الفرعونية التي حكمت مصر منذ ٤ آلاف سنة، وستحضر خلال دقائق.

ولم تكَد «لوزة» تنتهي من حديثها حتى كانت «نوسة» و«محب» يدخلان الحديقة. كانت «نوسة» دائرة معارف المغامرين الخمسة؛ فهي تُحب القراءة والتأمُّل؛ لذلك يلجئون إليها دائمًا عندما يُريدون معرفة شيء من الكتب.

جلست «نوسة» وقد أمسكت بورقة وسألت «تختخ»: هل اقتنعتَ بوجهة نظر «لوزة»؟

ردَّ «تختخ»: الحقيقة أنها وجهة نظر مقنعة. وما رأيك أنت؟

نوسة: إنني مقتنعة أيضًا، وقد بحثتُ عن الأسرة التي حكمت مصر منذ أربعة آلاف سنة، ووجدتُ أنها الأسرة الثانية عشرة، ومن فراعنتها «أمنمحات» الأول والثاني والثالث والرابع.

محب: ولكن ما المناسبة التي دعَت إحدى الصحف إلى أن تكتب عن هؤلاء الفراعنة؟

لوزة: إن في إمكاننا — إذا حدَّدنا الصحيفة التي كتبت الخبر، وحصلنا على العدد الذي كُتب فيه عن هذا الفرعون — أن نعرف ما هي حكاية «أمنمحات»، وما الذي دفع الصحيفة إلى أن تكتب عنه؟

تختخ: إن ذلك ليس صعبًا؛ فكل صحيفة لها طابع مُعيَّن فيما تكتب، ونوع مُعيَّن من الورق، و«بنط» معين، وحروف معينة.

لوزة: ماذا تقصد بـ «البنط» يا «تختخ»؟

تختخ: الحجم الذي تكون عليه الحروف. وأكثر «الأبناط» استعمالًا وهو ما نراه في الجرائد عادة، هو «بنط» ٩، وأكبر منه «بنط» ١٢، وأكبر منه «بنط» ١٦، ثم «بنط» ١٨ وهو قليل الاستعمال … وبالرغم من تشابه الحروف، فلكل جريدة طابعها الخاص في الإخراج.

نوسة: مسألة سهلة إذن … هاتوا الجرائد الصباحية الثلاث، ونحن نعرف ما هي الجريدة التي كتبت عن «أمنمحات» … ثم يذهب أحدنا إليها، ونستطيع استخراج النسخة الخاصة التي نشرت موضوع هذا الفرعون، ونعرف الحكاية.

أسرع «تختخ» إلى داخل منزلهم، وأحضر الجرائد الثلاث: الأهرام والأخبار والجمهورية، وجلس الأصدقاء الخمسة يُقارنون بين مختلِف أشكال الطباعة في كل جريدة، واتفقوا جميعًا على أن الجريدة التي نشرت الموضوع هي جريدة «الأهرام».

قال «محب»: لقد ذهبتَ قبل الآن يا «تختخ» إلى جريدة الأهرام، عندما كنا نعمل في حلِّ لغز «الوثائق السرية»، ولعلَّك تستطيع أن تتفاهم مع صديقك هناك؛ ليستخرج لكَ العدد الذي نُشر به الموضوع.

تختخ: في إمكاني هذا طبعًا، وتستطيع أن تأتي معي.

واتفق المغامرون الخمسة على أن يذهب «تختخ» و«محب» إلى «القاهرة» لزيارة جريدة الأهرام، على أن يذهب بقية الأصدقاء إلى حديقة منزل «عاطف» حيث اعتادوا الجلوس هناك عند الكشك الصغير.

وهكذا انطلق الصديقان إلى محطة المعادي، وبعد نصف ساعة تقريبًا كانا يقتربان من مبنى الأهرام الضخم في شارع الجلاء، وذهبا معًا إلى الاستعلامات حيث تحدَّث «تختخ» مع صديقه الأستاذ «محمود مراد» الذي رحَّب بمساعدتهما.

وبعد أن استقبلهما المحرِّر، ذهبوا جميعًا إلى قسم الأرشيف والمعلومات، وهو قسم كبير مُنظَّم على أحدث نظم الأرشيف والوثائق والمعلومات في العالم، ولم يستغرق بحثهم عن موضوع «أمنمحات» سوى دقائق قليلة، وعثروا على الموضوع.

كان الموضوع يشغل مساحة ثلث صفحة تقريبًا، تحت عنوان «توت عنخ آمون يجد منافسًا». وكان المحرِّر الذي أَعَدَّ الموضوع يتحدَّث عن كشفٍ أثري هام في «الفيوم» حول هرم الملك «أمنمحات الثالث» … وروى المقالُ أن كل الدلائل تُشير إلى أن هذا الكشف الأثري مُقبلٌ على مزيدٍ من الكشوفات الأثرية الهامة، تَفتح صفحاتٍ كانت مجهولةً في تاريخِ مصرَ الفرعوني خلال حُكم «أمنمحات الثالث»، فرعون مصر منذ نحو ٤ آلاف سنة؛ فقد كشف البحث الأثري عن أكثر من ١٠٠ مقبرة و١٥٤ مومياء، وعلى تماثيل وتمائم وآنية بلا حصر.

وقال المحرِّر إن بطن الأرض ما زال يُخفي أكثر ممَّا أعطى، وإن الأيام ستضع كشف «الفيوم» الأثري — إذا صدقت توقُّعات علماء الآثار — في مقام كشف «توت عنخ آمون» الذي أقام الدنيا وأقعدها منذ ٤٥ سنة.

وقال كاتب المقال: إن قصر التيه سوف تكشف عنه الحفريات القادمة في منطقة هوارة. وإن بحر وهبة — وهو ترعة لمياه الري — قد اخترقت قصر التيه وأتلفت محتوياته كما أتلفت هذه المياه من قبلُ مومياء الأميرة «نفرو بتاح» ابنة «أمنمحات الثالث». وإن تابوت الملك «أمنمحات الثالث» نُهب في عصر بعيد، وضاعت مومياؤه، إلا أن هناك أملًا في أن يكون هذا الفرعون قد خدع اللصوص وشيَّد لنفسه غرفةَ دفنٍ أخرى غير غرفة الدفن التي نُهبت.

وجاء في المقال أن الأثريين عثروا بجوار تابوت الأميرة «نفرو بتاح» على حُلِي وأوانٍ فضية قُدِّرت بأكثر من مليون جنيه.

وطلب «تختخ» من صديقه أن يحصل على نسخةٍ من المقال، وسرعان ما أُعِدَّت نسخة حملها من هناك وأخذها معه شاكرًا، وانصرف هو و«محب» عائدَين إلى المعادي.

وعندما جلسا في القطار كان «تختخ» مستغرقًا في تفكير عميق، فقال «محب»: إنك تُفكِّر في شيء هام يا «تختخ»، فما هو يا ترى؟

ردَّ «تختخ» وكأنه يحلم: هل تتذكَّر كلمات «الروبي»؟ ... لقد كان يقول ألف ألف ألف ... إنه لم يكن يقصد رقم ألف، ولكن يقصد المقطع الأول من كلمة: «الفيوم»، نعم «الفيوم» ... هذا هو اللغز!

عندما اجتمع الأصدقاء في حديقة «عاطف» كانت أمامهم حقائق كثيرة، وبعد أن كانوا يبحثون عن إبرة في كومةٍ من القش، أصبح عندهم الكثير من الأدلة يكفي لوضع تصوُّر للأحداث التي مرُّوا بها والتخطيط لما ينبغي عمله في المستقبل.

قال «محب» مُلَخِّصًا الموقف: عندنا مجموعة من المعلومات والأدلة يمكن أن تُكوِّن قصة ... فهناك رجل يدعى «الروبي» كان يُريد الوصول إلى الدكتور «رياض»؛ ليقول له شيئًا يتعلَّق بكشفٍ أثري في «الفيوم»، وقد أحضر في يده ورقةً عن هذا الكشف الأثري، لا ندري لماذا أحضرها، ولا كيف حصل عليها، ولا متى حصل عليها ... ويصل «الروبي» إلى فيلا الدكتور «رياض» وخلفه رجل أو أكثر يطارده، ونحن لا نعرفه ... ويتمكَّن المجهول من ضرب «الروبي» وأخذ الجزء الأكبر من الورقة التي تتحدَّث عن كشف «الفيوم» الهام، وقد عرفنا الآن ما في هذه الورقة، ولكن «الروبي» اختفى، وكذلك الدكتور «رياض»، فلم يعُد أمامنا مكان يمكن الذهاب إليه، ولا ناس يمكن الحديث إليهم.

قالت «نوسة»: لا، إن أمامنا ناسًا يمكن الحديث إليهم.

عاطف: ورحلة شاقة إلى «الفيوم».

لوزة: تستطيع أن تبقى أنت!

تختخ: قبل أن نُقرِّر السفر يجب أن نتصل بالمتفش «سامي» ونُخطره بكل هذه الحقائق.

وانهمك «عاطف» في قراءة الموضوع الصحفي، في حين أسرعت «لوزة» وأحضرت التليفون، وأدار «تختخ» قُرص الأرقام برقم تليفون المفتش «سامي»، ولكن اتضح أن المفتش قد قام برحلةٍ سريعة إلى أسوان للتحقيق في قضية هامة ... ووضع «تختخ» السمَّاعة قائلًا: إن المفتش ليس موجودًا، ولم يعُد أمامنا إلا أن نعتمد على أنفسنا ونُسافر ... إن علينا أن نصل إلى هوَّارة حيث بنى «أمنمحات الثالث» قصر اللابرانت وهرمه ومعبده الجنائزي.

عاطف: لقد لحظتُ شيئًا في الموضوع المنشور في الأهرام ... إنهم لم يعثروا على آثار هامة؛ فقد سرق اللصوص قبر «أمنمحات الثالث»، وتسرَّبت المياه إلى مقبرة الأميرة «نفرو بتاح»، وأتلفت مومياءها، ولكن هناك أشياء ذات قيمةٍ ماديةٍ كبيرة، منها بعض رقائق الذهب والعقود الذهبية، وثلاث أوانٍ فضية عُثر عليها بجوار التابوت تُساوي أكثر من مليون جنيه. وإذا لم يخِب ظني فإن هذه الحُلِي الذهبية أو هذه الأواني الفضية هي مدار هذا اللغز.

محب: إنكَ تسبق الحوادث يا «عاطف».

عاطف: أبدًا؛ فليس من المعقول أن يسرق اللصوص هرم «أمنمحات الثالث» مثلًا أو يسرقوا قصر اللابرانت ... الذي لم يظهر على وجه الأرض بعد! ... ولكن المعقول أن يسرق اللصوص الأواني أو الحُلِي الذهبية.

نوسة: ومن الذي تحدَّث عن لصوص في هذا الموضوع؟

عاطف: إذن ما هو اللغز؟ ... وعن أي شيء نبحث؟ ... إنكم تُكوِّنون قصةً ظريفةً عن رجل يجري، ورجل يُطارده، ودكتور في الآثار، ومدينة اسمها «الفيوم» ... ولكنكم لا تقولون لنا ماذا وراء كل هذه الدوشة، ولا عن أي شيء نبحث عندما نذهب إلى هوَّارة هذه؟!

تختخ: معكَ حق، ولا بأس أن نتبنَّى وجهة نظركَ كبداية للبحث، ونُريد الآن خريطةً لمنطقة «الفيوم» تُبيِّن آثارها ... هيا أيتها المثقَّفة العظيمة هاتي لنا المطلوب.

نوسة: لا بد أن أعود إلى منزلنا وأقضي بعض الوقت في البحث ... وأقترح أن يكون ذلك بعد الظهر، وسأُحدِّثك تليفونيًّا عندما أجد الخريطة ... فمتى نرحل؟

تختخ: في الصباح الباكر.

لوزة: هل نأخذ معنا «زنجر»؟

تختخ: إنها مشكلة في المواصلات أن تأخذي كلبًا معك.

لوزة: لا بد أن نأخذه؛ فإنني أعتقد أننا سنحتاج إليه.

محب: لا بأس ولكن أين ننزل؟

تختخ: عند صديقنا «عوَّاد» الذي نزلنا عنده عندما اشتركنا في مطاردة المهرِّب الدولي ... وحللنا اللغز الذي يحمل الاسم نفسه.

في المساء اتصلت «نوسة» تليفونيًّا بـ «تختخ»، وقالت له: لقد أخرجتُ كلَّ الكتب التي تتحدَّث عن عهد «أمنمحات الثالث».

تختخ: إننا لا نُريد بحثًا عن هذا الفرعون، ولكننا نُريد خريطة.

نوسة: وقد عثرتُ على خريطةٍ تُبيِّن موقع هوَّارة حيث بنى «أمنمحات الثالث» هرمه ... إنها قريبة من بحيرة «قارون» لحسن الحظ.

تختخ: هذا ما يُهمُّنا!

نوسة: سأنقل صورةً من الخريطة وأهم المعلومات عن الهرم وقصر اللابرانت.

تختخ: لا بأس ... وإلى اللقاء في السادسة صباحًا عند محطة المترو.

وفي الصباح الباكر اجتمع الأصدقاء ومعهم «زنجر»، وركبوا مترو حلوان إلى «القاهرة»، ثم إلى محطة أوتوبيس «الفيوم». وبعد جدال مع السائق والكمسري استطاعوا إقناعهما بركوب «زنجر»، وانطلقت السيارة إلى «الفيوم».

قالت «لوزة» وهم يمرُّون بمنطقة أهرام الجيزة: يا لها من أهرام عظيمة هذه التي تركها الفراعنة!

نوسة: هذه هي أهرام الأسرة الرابعة التي كان منها «خوفو» و«خفرع» و«منقرع»، أمَّا أهرام هوَّارة التي سنذهب إليها فمن بناء فراعنة الأسرة الثانية عشرة، ومنهم «أمنمحات الثالث» ... الذي يُهمُّنا أمره؛ فهو الوحيد بين الفراعنة الذين يحملون اسم «أمنمحات» الذي بنى هرمًا في منطقة هوَّارة، وبنى قصر اللابرانت أو التيه.

لوزة: ما أجمل أن يعرف الإنسان كل هذه المعلومات!

نوسة: إن قصة الحضارة المصرية القديمة قصة رائعة، وليس أهم ما تركوه هي المباني من أهرامات ومعابد وغيرها، ولكن ما خلَّفوه للعالم من تشريعات وقوانين، وفنون وتقاليد وعلوم تشهد لهم بالتفوُّق والتقدُّم.

ومضت العربة المزدحمة تشق الصحراء الساكنة في طريقها إلى «الفيوم» ... وكان على الأصدقاء أن ينزلوا عند أوبرج «الفيوم»، ثم يواصلوا رحلتهم على الأقدام أو على ظهور الحمير على شاطئ بحيرة «قارون»؛ للقاء صديقهم «عوَّاد» حيث ينزلون في ضيافته.

وبعد نحو ساعة ونصف ساعة وصلت العربة إلى أوبرج «الفيوم»، على شاطئ بحيرة «قارون»، ونزل الأصدقاء وتذكَّروا — عندما رأوا شاطئ البحيرة — المغامرتَين اللتَين مرُّوا بهما في هذا المكان؛ «لغز المهرِّب الدولي»، و«لغز الموسيقار الصغير» ... وهذه هي مغامرتهم الثالثة.

قالت «نوسة»: هل تنتهي هذه المغامرة بالنجاح، كما انتهت المغامرتان السابقتان؟

تختخ: نرجو ذلك ... ومن المهم أن نكون على حذر؛ فنحن بعيدون عن «القاهرة»، وعن المفتش «سامي»، ولا ندري من هم أعداؤنا.

كانت الساعة تقترب من التاسعة صباحًا، والشمس ما تزال في جانب الأفق، والجو لم يسخن بعد، فقالت «لوزة»: أتمنَّى أن نمشي إلى بيت «عوَّاد» ... فبرغم أن المسافة طويلة، إلا أن الجو مناسب.

وهزَّ «زنجر» ذيله دليل الموافقة ... وهكذا انطلقوا جميعًا، وقد حملوا حقائب السفر القماش على ظهورهم كالكشَّافة، وقطعوا المسافة بجوار شاطئ البحيرة إلى حيث منزل «عوَّاد»، قريبًا من قسم سواحل مصايد بحيرة «قارون»، واستغرقت المسيرة نحو ساعة، وكانت مفاجأةً مفرحةً لهم أن وجدوا «عوَّاد» يجلس على شاطئ البحيرة يصطاد السمك. وكان حضورهم بالنسبة له أكثر من مفاجأة مفرحة، فأسرع إليهم يشد على أيديهم جميعًا، ويسألهم عن سبب حضورهم المفاجئ.

قال «تختخ»: لقد جئنا خلف معلومات عن الكشوف الأثرية التي تمَّت أخيرًا في منطقة هوَّارة قريبًا منكم، وعندنا بعض استنتاجات عن حوادث غير طبيعية تحدث هناك.

عواد: لغز آخر؟

تختخ: نعم، لغز آخر. هل تعرف رجلًا هنا يدعى «الروبي»؟

ضحك «عوَّاد» قائلًا: «الروبي»؟ نعم أعرفه.

التفت الأصدقاء إليه باهتمام قائلين: تعرفه؟

عوَّاد: طبعًا؛ فأكثر سُكَّان محافظة «الفيوم» يُحبون اسم «الروبي»، وواحد من كل عشرة من سُكَّان المحافظة تقريبًا «روبي»، فأي «روبي» في هؤلاء تُريدون؟

ابتسم الأصدقاء لدعابة «عوَّاد»، واتجهوا جميعًا إلى غرفهم التي نزلوا فيها من قبل، أيام «لغز المهرِّب الدولي»، واغتسلوا، ثم عادوا إلى الجلوس مع «عوَّاد» على شاطئ البحيرة يصطادون السمك.

قال «تختخ»: إننا نُريد أن نذهب إلى هوَّارة فهل هذا ممكن؟

عوَّاد: ممكن طبعًا.

تختخ: سنقضي اليوم معك، وفي الصباح الباكر نذهب.

عوَّاد: سأُدبِّر لكم عددًا من الحمير لتحملكم إلى هناك.

تختخ: هذا مناسب جدًّا؛ فنحن نُريد أن نتمكَّن من الحركة سريعًا ولا نتقيَّد بمواعيد المواصلات وغيرها.

وانصرف الأصدقاء إلى صيد السمك بالسنانير، ولم يلحظوا أنهم كانوا مراقبين طول الوقت، وبخاصةٍ «محب» ... فقد أخطأ «محب» خطأً كبيرًا عندما أخرج الورقة التي عثر عليها مع «الروبي» في منزل الدكتور «رياض»، وأخذ يعرضها على «عوَّاد»، ويروي له القصة كاملة ... لقد انتقلت كلماته إلى أذن رجل كان يُراقبهم، وسرعان ما كانت هناك عيون شريرة تُراقبهم جميعًا بدون أن يُحسوا.

وعندما أقبل الليل جلس الأصدقاء مع «عوَّاد» يتحدَّثون حول نار مشتعلة، يشوون عليها الذرة، ويتحدَّثون عن ذكرياتهم في المدرسة، وكانت العيون الشريرة تُراقبهم من بعيد.

وعندما آن أوان النوم، واتجهوا جميعًا إلى غرفهم، تذكَّر «محب» كلمةً أخرى نطق بها «الروبي» في أثناء غيبوبته في منزل الدكتور «رياض»، وقرَّر أن يسأل عنها «عوَّاد»؛ فقد تكون ذات معنًى بالنسبة له، أو تُفسِّر شيئًا في اللغز.

انتهز «محب» فرصة مرور «عوَّاد» ذاهبًا إلى غرفته واستوقفه قائلًا: «عوَّاد»، هناك كلمة ... قد تسخر مني كما سخرتَ عندما سألناك عن «الروبي»!

عوَّاد: ما هي؟

محب: قرن، قرن ... هل هناك شيء له هذا الاسم؟

عوَّاد: طبعًا، هناك جزيرة القرن الذهبي وسط بحيرة «قارون».

مؤامرة الحمير

في صباح اليوم التالي كانت قافلة من الحمير تحمل الأصدقاء و«عوَّاد» في طريقهم إلى هوَّارة، وكان «زنجر» في أسعد حالاته في ذلك اليوم، يجري هنا وهناك، ويسبق الحمير ويعود إليها، وينبح ويقفز على أقدام الأصدقاء ... ومضت القافلة تشق طريقها مسرعة، ومرَّ نحو ساعة، وأشرفت القافلة على منطقة الحفريات، ونزل الأصدقاء من فوق الحمير، وبدءوا يقتربون من المنطقة الساكنة. لم يكن هناك عمل منذ فترة، ولم يكن هناك إلا بعض الحرَّاس يجلسون في الظلِّ يشربون الشاي.

اقترب الأصدقاء من الحُرَّاس وألقَوا عليهم التحية، ثم قال «تختخ»: نحن قادمون من «القاهرة» لمشاهدة منطقة الحفريات.

قال أحد الحُرَّاس: إن الزيارة ممنوعة.

تختخ: لماذا؟

الحارس: هذه هي الأوامر ... الاقتراب من منطقة الحفريات في أثناء العمل بها ممنوع إلا بإذن خاص من مصلحة الآثار.

تختخ: ألَا نستطيع أن نُلقي نظرةً سريعة؟

الحارس: آسف جدًّا ... هذا ممنوع تمامًا، ولا سيما أن الحفريات متوقِّفة منذ فترة.

كان واضحًا أن محاولة دخول منطقة الحفريات مستحيلة، فقال «تختخ» يسأل الحارس: هل تعرف شخصًا اسمه «الروبي» كان يعمل معكم؟

الحارس: إنني شخصيًّا اسمي «الروبي»!

ونظر «تختخ» إلى «محب» الذي نظر إلى الحارس فاحصًا مدقِّقًا، ثم قال بصوت هامس: لا، ليس هو «الروبي» الذي شاهدته في منزل الدكتور «رياض».

انصرف الحارس إلى شرب الشاي، ولجأ الأصدقاء إلى ظل شجرة، فجلسوا تحتها يتحدَّثون، وتركوا الحمير ترعى غير بعيد.

قالت «نوسة»: رحلة غير ناجحة للأسف، فلم نفعل شيئًا، ولم نحصل على أية معلومات تُفيدنا.

محب: هذا صحيح، ولكننا لم نخسر المعركة بعد، فما زال أمامنا جزيرة القرن.

تختخ: جزيرة القرن؟ ... هل ...

وقبل أن يُتم جملته قال «محب» بين دهشة الأصدقاء: نعم، إن «الروبي» عندما كان يهذي كان يقول ألف ... القرن، والقرن الذهبي جزيرة في وسط بحيرة «قارون»، كما قال «عوَّاد» ... وهذه هي ورقتنا الأخيرة.

عاطف: ولماذا نُضيِّع وقتنا هنا؟ ... هيا نذهب إلى الجزيرة.

فكَّر «تختخ» قليلًا، ثم قال: أرى أن نتمهَّل قليلًا قبل الذهاب إلى الجزيرة ... إننا حتى الآن لا نعرف من هو عدوُّنا ... وما الذي نبحث عنه ... إن معلوماتنا ناقصة، ويجب ألَّا نلعب بورقتنا الأخيرة إلا بعد أن تكون عندنا معلومات أوفر ... إذا ذهبنا إلى الجزيرة في وضح النهار نكون كمن يُلقي بنفسه في البحر بدون أن يتعلَّم العَوم ... إننا ببساطةٍ نُعلن للعدو المجهول عن أنفسنا.

محب: ومن أين نحصل على معلومات أخرى، وقد انتهت رحلتنا إلى منطقة الآثار بالإخفاق؟

تختخ: سنعود مرةً أخرى.

لوزة: متى؟

تختخ: في موعدٍ آخر ... فبصراحة أُحس أننا مراقبون ... أُحس أن أمورًا تجري في الخفاء حولنا ... أُحس بالخطر.

قال «عوَّاد»: إن هذه المنطقة مشهورة بالمجرمين الفارِّين من وجه العدالة، وقد أصررتُ على الحضور معكم؛ لأنني خائف عليكم.

عاطف: هيا بنا إذن.

تختخ: نعم ... هيا بنا.

كانت الحمير تقف في ظل شجرة أخرى تأكل، فاتجه الأصدقاء إليها، وسرعان ما قفزوا إلى ظهورها وبدءوا رحلة العودة.

وبعد نصف ساعة شعرت «لوزة» أن الحمار الذي تركبه يُسرع في السير أكثر من اللازم، وأن خطواته غير منتظمة، ووجدت نفسها تبتعد عن الأصدقاء ... ولمَّا نظرت خلفها

وجدت القافلة الصغيرة قد تفرَّقت، وأخذ كل حمار منها يجري في اتجاهٍ مخالف ... وبعد لحظات — وقبل أن يُدرك الأصدقاء ما حدث — كانت الحمير تجري وتقفز في الهواء كأنما أُصيبت بمسٍّ من الجنون ... وتنهق بصوتٍ مرتفع كأنما ركبتها الشياطين!

لقد حدث للحمير شيء لا يعرفه أحد، ففقد الأصدقاء السيطرة عليها، وأخذت «لوزة» تُنادي طالبةً النجدة؛ فقد أحسَّت أنها ستسقط عن ظهر الحمار، إلى الأرض ... ولكن أحدًا لم يُنجدها ... فقد كانوا في منطقةٍ خالية من السكَّان ... وكان كل واحدٍ منهم مشغولًا بنفسه، يُحاول عبثًا السيطرة على حماره.

وفجأةً وقف حمار «لوزة» ... ورفع رجلَيه الأماميتَين عاليًا، ووجدت «لوزة» نفسها تطير في الهواء، وتسقط على الأرض بشدة، ثم غابت عن الوعي.

لم تغِب «لوزة» عن وعيها إلا دقائق قليلة، وعندما أفاقت ونظرَت حولها شاهدت الأصدقاء جميعًا متناثرين على الأرض، في أماكن مختلفة، وكلٌّ منهم يُحاول أن يقف على قدمَيه ... ولم يكن هناك إلا «زنجر» وحده القادر على الجري، فأسرع إليها وأخذ يلحس وجهها ويدَيها، وأدركت سريعًا ما حدث لها ولأصدقائها، وأدركوا هم جميعًا ما حدث لهم ... ولحسن الحظ أن أحدًا منهم لم يُصَب إصابةً بالغة.

واستطاع «محب» بعد جهدٍ جهيد أن يقف على قدمَيه، ثم يتجه إلى «تختخ»، فمدَّ إليه يده وأوقفه، وسارا معًا يجمعان بقية الأصدقاء، واجتمعوا جميعًا وقد تعفَّرت ثيابهم، وأُصيب بعضهم إصابات كانت لحسن الحظ خفيفة. وكان «عوَّاد» ينظر حوله يرقب الحمير التي شردت، ثم قال: لقد دسَّ بعضهم للحمير طعامًا أهاجها!

تختخ: ذلك واضح جدًّا ... لقد كنا ضحية مؤامرةٍ بدون أن نأخذ حذرنا، وكان يجب أن نكون أكثر حذرًا ... لقد كان قلبي يُحدِّثني أننا مراقبون، ولكني في الحقيقة لم أتوقَّع أن يتصرَّف العدو بهذه السرعة.

نوسة: ولكن ما الذي يُخيفهم منا؟

تختخ: لا بد أنهم علموا لماذا حضرنا إلى هنا.

محب: يبدو أن الخطأ صدر منا؛ فقد كنتُ أتحدَّث مع «عوَّاد» عن الورقة التي عثرتُ عليها، والمشهد الذي رأيتُه في منزل الدكتور «رياض»، ولا بد أن أحدهم قد سمع ما قلت.

نوسة: ماذا تقصد بأحدهم؟ من هم؟

تختخ: إننا لا نعرف حتى الآن، ولكنهم بالتأكيد الذين كانوا يُطاردون «الروبي» لأسباب ما زلنا نجهلها.

عاطف: المهم الآن كيف نعود إلى منزل «عوَّاد» وقد شُرِّدت الحمير؟

تختخ: ليس أمامنا إلا أن نسير.

لوزة: لا أستطيع، إن قدمي قد التوت … إنني أشعر بألم فظيع!

تختخ: سأسندك حتى نصل.

ووقفوا ينفضون ثيابهم، وكان «عاطف» قد أُصيب بجرح في ساقه، فنظَّفه له «تختخ» بمنديله ثم ربطه. كانت ذراع «نوسة» تنزف بعض قطرات من الدم، فأسرعت «لوزة» تربط لها ذراعها.

وبدءوا رحلة العودة سيرًا على الأقدام، وهم جميعًا يشعرون بالضيق والألم، وقال «تختخ»: ولكن يا «عوَّاد» كيف نتمكَّن من إعادة الحمير؟

عوَّاد: ستعود من تلقاء نفسها؛ فهي تعرف طريقها.

وكان طريق العودة على الأقدام شاقًّا وطويلًا، ولكنهم تحاملوا على أنفسهم، وتحمَّلوا آلامهم في شجاعة، واستطاعوا أن يصلوا إلى منزل «عوَّاد» بعد جهد جهيد، فاغتسلوا وطهَّروا جراحهم، وفضَّلت «لوزة» أن تأوي إلى فراشها، في حين جلس بقية الأصدقاء يتحدَّثون عمَّا حدث، وعمَّا يجب أن يفعلوه.

قال «تختخ»: سنعود الليلة إلى منطقة الحفريات.

وبدت الدهشة على وجوه «محب» و«عاطف» و«نوسة»، ولم يكن «عوَّاد» موجودًا؛ فقد ذهب ينتظر عودة الحمير.

عاطف: غير معقول … كيف تذهب إلى عرين الأسد بعدما حدث؟

تختخ: إنهم الآن لا يتوقَّعون عودتنا … فهم يعرفون أننا أُصبنا بجراحٍ تمنعنا من العودة إلى منطقة الحفريات، أو أننا ارتعبنا وخفنا منهم ولن نُعاود الكرة … وهذه فرصتنا.

محب: ولكن كيف؟

تختخ: سأذهب أنا وأنت و«عوَّاد»، ويبقى «عاطف» مع «نوسة» و«لوزة» … وعليه أن يتظاهر بأننا جميعًا موجودون فيخرج إلى الشرفة ويتحدَّث وكأنه يتحدَّث معي ومعك ومع «عوَّاد»، على حين نقوم نحن بالتسلُّل ليلًا في ملابس الفلَّاحين.

محب: وهل نذهب سيرًا على الأقدام؟

تختخ: لا … على الحمير … ولكن سنُغطِّي حوافرها بقماش سميك حتى لا يُحدث سيرها على الأرض صوتًا، وسوف نتخذ طريقًا مختلفًا غير الطريق المعروف.

وفي هذه اللحظة عاد «عوَّاد» وهو يبتسم قائلًا: لقد عادت الحمير جميعًا، وقد أصبحت في حالتها الطبيعية.

وشرح «تختخ» لـ «عواد» خطته، فقال «عوَّاد»: بعد الذي حدث أحب كثيرًا أن أعرف من هم الذين خلف هذه الحوادث، وإني على استعدادٍ لأن أفعل أي شيء.

تختخ: عظيم! وهل تستطيع تدبير ثيابٍ كثياب الفلَّاحين لي أنا و«محب».

عوَّاد: طبعًا بمنتهى البساطة.

تختخ: ونحتاج إلى حبل ... وسأقوم بعمل عُقَد فيه ليصلح سلَّمًا؛ فإنني أظن أننا سنصعد إلى مكانٍ مرتفع، أو ننزل مكانًا منخفضًا.

وقضى الأصدقاء بقية اليوم في غرفهم، متظاهرين أنهم مرضى، ولن يخرجوا في تلك الليلة، ولكن عندما هبط الظلام كان هناك ثلاثة أشباحٍ تتحرَّك في الظلام، وتجر الحمير الثلاثة، بعد أن ربطوا حوافرها بالقماش السميك ... كانت الأشباح الثلاثة هي «تختخ» و«محب» و«عوَّاد»، ومعهم «زنجر».

سجين البئر

كان ثمَّة قمر صغير يُضيء الطريق الخالي إلى هوَّارة، وبعد أن سار الأصدقاء بجوار الحمير فترةً من الوقت ركبوها، وانطلقوا في الضوء الخفيف للقمر الوليد. لم يكن أحدٌ منهم يُحدِّث الآخر؛ فقد استغرق كلٌّ منهم في خواطره. كانت الرحلة بالنسبة لهم رحلةً إلى المجهول ... إلى مكانٍ غريب يعود تاريخه إلى ٤٠٠٠ سنة، وإلى ملاقاة عدو مجهول لا يعرفون عنه شيئًا.

كان صوت حوافر الحمير على الأرض خافتًا بعد أن ربطوها بالأقمشة الثقيلة، فلم يكن يقطع صمت الليل إلا أصوات صراصير الحقل ... وبعض الطيور القلقة. وبعد نحو ساعة أشرفوا على منطقة الحفائر في هوَّارة ... وكان الصمت يلف المكان ... وقبل أن يصلوا إلى التلال الترابية التي تخلَّفت عن الحفائر ... ترجَّلوا وربطوا الحمير الثلاثة بعيدًا، ثم ساروا في هدوءٍ إلى المنطقة، ولمحوا نارًا مشتعلة، وشاهدوا حولها الحُرَّاس الثلاثة كما تركوهم أول النهار.

همس «محب»: إنهم يحملون بنادق.

تختخ: أرجو ألَّا يسمعونا ... إنني متجه إلى البئر التي حفرها رجال الآثار ... لقد حفروا حتى الآن ١١ مترًا، وعندهم الأمل أن تُؤدِّي هذه البئر إلى قبر الملك «أمنمحات الثالث»، وما دمنا نعتقد أن عدوَّنا المجهول يبحث عن نفس القبر، أو يُحاول سرقته، فلا بد أن نرى ما يحدث في هذه البئر أو حولها.

محب: ولكن يا «تختخ» كيف نجد البئر؟

تختخ: سنمشي في حذرٍ بين الحفريات وسوف نعثر عليها.

محب: ولكن لا بد أننا سنُقابل أحد أفراد العصابة — أو العصابة كلها — في هذا المكان، فكيف نتصرَّف؟

تختخ: لا تخَف، سنجد وسيلة.

وتقدَّم الثلاثة على حذر، وخلفهم «زنجر» … كانت التلال تُشبه أشباحًا ضخمةً راقدةً على الأرض، وبعض الجدران الأثرية تُلقي ظلالًا مرعبةً على المكان الموحش، وأحسَّ «محب» برعشة تسري في بدنه، ولكنه تقدَّم بين «تختخ» و«عوَّاد»، وقد أطلق «تختخ» من بطَّاريته الصغيرة خيطًا رفيعًا من الضوء، وأخذ يُديره هنا وهناك … ولكنهم أحسُّوا بعد فترة بأن لا شيء هناك، لا أشخاص ولا بئر ولا أي شيء … لم يكن هناك إلا التراب والصمت والأحجار.

قال «عوَّاد» هامسًا: تعالَوا نعود … إن المنطقة واسعة جدًّا، ومن الصعب العثور على أي شيء هنا.

ردَّ «تختخ» بحزم: لن نعود حتى نعثر على البئر … هذه فرصتنا قبل أن يتحرَّك عدوُّنا المجهول بشراسة ضدنا.

ومضوا في طريقهم … وفجأةً وقع ضوء البطارية على ثعبانٍ ضخم ملتفٍّ حول نفسه، فوقف الثلاثة، ولكن «تختخ» قال: ابتعدوا عنه … إن هذه المناطق القديمة الرطبة كثيرًا ما تحفل بالهوام … كالثعابين والعقارب وغيرها … وسمعوا «زنجر» يُهَمْهِم، رأوه يتقدَّم للقفز على الثعبان، ولكن «تختخ» أخذ يربت عليه مُهدِّئًا وهو يُتَمْتم: ليس هذا وقت الصراع … ليس هذا وقت القتال.

وكأنما فهم «زنجر» ما يقوله «تختخ»، فمضى خلفهم بدون أن يتعرَّض للثعبان الضخم وأخذوا يتجوَّلون بين الحفائر، وقد اختفى ضوء القمر الوليد تقريبًا، ولم يبقَ إلا ضوء النجوم البعيدة، وفجأةً توتَّرت عضلات «زنجر»، ووقف مكانه وقد رفع أذنَيه إلى فوق … وأحسَّ «تختخ» أن «زنجر» قد وقف، فالتفت إليه وأدار بطاريته ليرى ما حدث … وأدرك من أول نظرةٍ أن «زنجر» يُحس بخطرٍ قريب، فأطفأ نور البطَّارية، وطلب من «عوَّاد» و«محب» أن ينبطحا على الأرض، وفعل مثلهم … ولم تمضِ سوى لحظات حتى حمل إليهم هواء الليل أصوات حديث يقترب، ثم ظهر شبحَا رجلَين يسيران معًا ويتحدَّثان، وتقدَّم الرجلان حتى أصبحا على بُعد حوالي أربعة أمتارٍ من الأصدقاء، ثم وقفا يتحدَّثان.

وضع «تختخ» يده على ظهر «زنجر» حتى لا يتحرَّك أو ينبح، وأصغى بانتباهٍ شديد إلى حديث الرجلَين.

قال أحدهما: يجب أن نُسرع في العمل أكثر؛ فسوف يعود رجال الآثار بعد ثلاثة أيام لاستئناف الحفر، بعد أن أحضروا الآلات التي تُجفِّف المياه من البئر، وسيكون من الصعب بعد ذلك الاقتراب من المنطقة.

ردَّ الآخر: وماذا أستطيع أن أفعل؟ لقد قمتُ باختطاف «الروبي» من المستشفى، وأحضرته، وأجبرته على مواصلة البحث عن مدخل غرفة دفن الملك «أمنمحات الثالث» الذي يعرف طريقه!

قال الأول: إن هرم الملك «أمنمحات» مبني من الداخل بطريقة معقَّدة؛ فقد حفر الملك قبل بناء الهرم بئرًا عميقةً مستطيلة، ثم أنزل فيها كتلةً من حجر الكوارتز الأصفر، هي في الحقيقة حُجرة دفنه، ثم صنع مدخلَين … أحدهما زائف حتى يُضلِّل اللصوص عن حُجرة الدفن، والآخر هو المدخل الحقيقي. وبرغم أن تابوت الملك قد يكون قد نُهب في عصورٍ قديمة وسُرقت مومياؤه، فإنني أعتقد أن مومياء الملك وكنزه ما زالت موجودة، وقد يكون في هذا الهرم أو في هرمه الآخر في دهشور.

قال الآخر: لقد أخذنا حتى الآن ما يكفي من الأواني الفضية والحُلِي الذهبية، فدعنا نهرب بها ولا داعي للاستمرار، وبخاصةٍ بعد ظهور هؤلاء الأولاد والورقة التي وُجدت معهم.

الأول: إنك لا تتصوَّر قيمة الكنوز التي قد نعثر … عليها … إن قيمتها تزيد على كنوز «توت عنخ آمون» التي تُقدَّر بثلاثين مليونًا من الجنيهات! ثم كيف نخاف من بعض الأولاد ولقد استطعنا إرعابهم بمؤامرة الحمير، ولن يعودوا مرةً أخرى … هيا بنا نرى ماذا فعل «الروبي» هذه الليلة.

الآخر: إن «مستور» يُراقبه من فُوَّهة البئر، فلن يهرب … ودعنا نعود فأنا متعب.

الأول: تعالَ معي دقائق فقط.

كان الأصدقاء يستمعون إلى الحديث بوضوحٍ شديد، وقد عرفوا الآن كل شيء، وهمس «تختخ»: سنذهب خلفهما … لا تُحْدِثا أي صوت. ثم ربت بيده على رأس «زنجر» كأنما يقول له التعليمات.

وسار الرجلان والأصدقاء الثلاثة و«زنجر» خلفهم على بُعدٍ كافٍ حتى لا يسمع الرجلان صوت أقدامهم، وبرغم هذا فإنه في الصمت المطبق خُيِّل لـ «محب» أن دقَّات قلبه مسموعة على بُعد عشرةٍ أمتار. وبعد مسيرةٍ قصيرة بين التلال والأحجار وقف الرجلان عند منحدر صخرة كبيرة، وسمع الأصدقاء صوت رجل يتحدَّث إليهما … ووصلت إليهم بضع كلمات … ثم سمعوا صوت دقَّاتٍ بعيدةٍ كأن شخصًا يحفر على عمق بعيد.

وظلَّ الحوار دائرًا بين الرجال الثلاثة، والكلمات المتناثرة تصل إلى الأصدقاء … «الروبي» … الجزيرة … القوارب … رجال السواحل … ثم ساد الصمت، وسمع الأصدقاء صوت أقدام الرجلَين وهما ينصرفان عائدَين من الطريق نفسه الذي قدما منه.

وانتظر الأصدقاء بضع دقائق حتى اختفى وقْعُ الأقدام وتلاشى في الصمت، وهمس «تختخ»: انتظرا عودتي.

وتحرَّك «تختخ» بحذرٍ حول الصخرة الكبيرة، ووجد شبح رجل يجلس بيده بندقية، وبيده الأخرى بطارية يُدير ضوءها بين لحظةٍ وأخرى حوله، وأدرك أنه الرجل الذي يُراقب «الروبي»، كما سمع من حديث الرجلَين. وظلَّ «تختخ» لحظاتٍ يُفكِّر فيما ينبغي عمله ... ثم استدار بهدوءٍ وعاد إلى «محب» و«عوَّاد».

همس «تختخ»: إنه رجل واحد، وفي إمكاننا التغلُّب عليه، ولكن نُريد أن يتم ذلك في هدوءٍ حتى لا يشعر بنا الحراس.

محب: وهل فكَّرتَ في خطة؟

تختخ: نعم ... سأجلس خلف الصخرة مباشرةً ومعي «زنجر»، وستبقيان على مبعدة، وأُريد منكما أن تدقَّا الأرض بقطعة حجرٍ بحيث يسمعكما الرجل ويتجه إليكما، وسأقوم بالباقي. فإذا سمعتما صراعًا بيني وبينه فتعاليَا مسرعَين.

وتسلَّل «تختخ» مرةً أُخرى في الظلام، ومعه «زنجر»، وهو يضع يده على رأسه لتهدئته ... وسار حتى وصل إلى الصخرة الكبيرة، ثم قبع في الظلام. وبعد لحظاتٍ سمع الدقَّات التي يُحدثها «محب» و«عوَّاد»، واستمرَّت الدقَّات فترةً قبل أن يتحرَّك الرجل. وشاهد «تختخ» شبحه وهو يمر بجواره في الظلام مسرعًا، ومد «تختخ» ساقه أمام الرجل فتعثَّر وسقط على الأرض بشدة، وقفز عليه «تختخ» و«زنجر» معًا، وكانت الدهشة والصدمة كافيتَين للقضاء على مقاومة الرجل؛ فاستطاع «تختخ» أن يشل حركته، وسرعان ما ظهر «محب» و«عوَّاد»، وتمكَّن الثلاثة من تكميمه بمنديلٍ وربطه بالحبل الذي كان معهم.

عندما انتهى الأصدقاء من المهمَّة اتجها إلى البئر، وكم كانت دهشتهم أن وجدوه مضاءً من الداخل بمصباحٍ غازي قوي ... وشاهدوا على الضوء رجلًا يقوم بالحفر! كان هو «الروبي» بكل تأكيد ... وانحنى «تختخ» فوق البئر وصاح: «روبي».

توقَّف الرجل عن الحفر، ورفع وجهه إلى فوق ... وعندما رآه «محب» قال: هذا هو الرجل الذي رأيتُه في منزل الدكتور «رياض» بكل تأكيد.

وأخذ الرجل ينظر إلى الأصدقاء، وقد بدت على وجهه علامات الدهشة والإعياء، فقال له «تختخ»: هل تستطيع أن تصعد؟

لم تكن البئر التي يعمل بها «الروبي» عميقة … كانت نحو أربعة أمتار، وكان هناك سُلَّم من الحبال مُعلَّق بين الحافة والقاع، فأخذ الرجل يصعد بجهد شديد حتى وصل إلى فوق … كان متعبًا وشاحبًا حتى بدا كأنه سيسقط ميتًا.

وقال «تختخ» مسرعًا: نحن أصدقاء، ونُريد أن نعرف قصتك كاملة.

الروبي: إنها قصة حزينة ومخيفة.

تختخ: لنبتعد الآن عن هذا المكان.

وأحاط الأصدقاء بالرجل، وأخذ «تختخ» يُنير الطريق إلى حيث ربطوا الحمير … ولكن في هذه اللحظة سمعوا صوت أقدامٍ تأتي بسرعة، وسمعوا صوتًا في الظلام يصيح: من هناك؟!

همس «عوَّاد»: إنهم الحُرَّاس!

ودوَّى طلقٌ ناري في الفضاء، ومرَّ يُزغرد بجوار الأصدقاء … وأحسُّوا جميعًا أنهم في خطرٍ شديد … وكان في إمكانهم أن يُطلقوا سيقانهم للريح لولا وجود «الروبي» معهم … ولم يكن في استطاعتهم أن يحملوه، وأدرك «تختخ» أنهم وقعوا في مأزق شديد … فقد كان الحُرَّاس يتقدَّمون بسرعة إلى حيث كانوا يقفون … ولم يكن يعرف أهؤلاء الحراس من أعوان العدو أم لا؟ … فإذا كانوا من أعوانه فسوف تكون نهايتهم رهيبة … وإن لم يكونوا فسوف يُواجهون متاعب لا حصر لها، وقد يُتهمون بسرقة الآثار … وكان «زنجر» يقف بجوار الأصدقاء وقد توتَّرت عضلاته، ووقفت أذناه، ولكنه كان يعرف الخطر الذي يتعرَّضون له لو أنه نبح أو أحدث أي صوت … وهكذا وقف ثابتًا في انتظار تعليمات «تختخ»، ولَمَّا لم تصدر تعليمات أدرك أن عليه أن يتصرَّف.

لعنة الفراعنة

في اللحظة التي ظنَّ فيها الأصدقاء أنهم وقعوا في أيدي الحراس لا محالة، تذكَّروا «زنجر» عندما زمجر في الظلام، ثم انطلق كالرصاصة في اتجاه الحُرَّاس، وكان أسود كقطعةٍ من الليل فلم يرَه أحد ... وفجأةً قفز من الظلام إلى صدر أحد الحُرَّاس فأوقعه على الأرض ... وقبل أن يُفيق كان قد أعمل مخالبه وأنيابه في الآخر.

وقال «محب»: هيا بنا بسرعة ... إنهما حارسان فقط فيما يبدو ... وسيجد «زنجر» وسيلةً للإفلات. أسرع الأصدقاء ومعهم «الروبي» في اتجاه الحمير، وكانت الريح تحمل لهم صوت الصراع الدائر بين «زنجر» وبين الحارسَين، ثم سمعوا طلقةً في الظلام، وسكن كل شيء، وقال «محب»: أخشى أن يكونوا قد أصابوا «زنجر»!

تختخ: لم يعُد أمامنا ما نفعله إلا الهرب ... فاركب أنت يا «محب» و«عوَّاد» و«الروبي»، واترك لي أحد الحمير ... وسوف أعود لأرى ما حدث!

محب: ولكن يا «تختخ» كيف تعود وحدك؟

تختخ: لا وقت للنقاش ... انطلقوا أنتم!

وانطلق الثلاثة، وعاد «تختخ» يتسلَّل في الظلام باحثًا عن «زنجر». كان كل شيء أسود بعد أن اختفى القمر وخلَّف بعده ظلامًا موحشًا ... وبرغم أن «تختخ» كان يُحس بشيء من الخوف ... فإن حبه لـ «زنجر» كان أكبر من أي خوف ... وهكذا تقدَّم سريعًا ... ولمحت عيناه النيران التي كان يسهر حولها الحُرَّاس فاتجه إليها ... وفوجئ بالحُرَّاس الثلاثة معًا ... وكان واضحًا على اثنَين منهم أنهما خاضا صراعًا رهيبًا مع «زنجر» فقد تمزَّقت ملابسهما ... وأُصيبا بجراحٍ في جسدَيهما.

كان الثلاثة يتحدَّثون، وقال أحدهم: إنه وحش ... لا يمكن أن يكون إلا هذا!

الثاني: بل هو الكلب الذي كان مع الأولاد الذين حضروا في الصباح!

الثالث: ولكن ما الذي أتى بهم إلى هنا؟ ... ألم يقل لنا «هوَّاري» إنهم سيهربون بعد أن أهاج الحميرَ وجعلها تُلقي بهم على الأرض؟!

وأدرك «تختخ» أن «هوَّاري» هو زعيم العصابة ... وهو لص الآثار ... وهو العدو المجهول ... ووقف فترةً يُفكِّر ... ثم قرَّر الذهاب إلى المكان الذي دار به الصراع بين «زنجر» والحارسَين، واتجه إلى هناك ... ولم يكن هناك شيء واضح في الظلام، ولم يكن في الإمكان تحديد المكان بالضبط، وبعد فترة من البحث لم يجِد «تختخ» أمامه إلا أن يعود.

شقَّ طريقه محاذرًا بالقرب من الحُرَّاس الثلاثة ... وألقى عليهم نظرةً أخيرةً فوجد أن أحدهم قد اختفى، وأدرك أنه أسرع لتحذير «هوَّاري»، وأنه لا بد أن يسبقه ويستعين برجال الشرطة قبل أن يختفي «هوَّاري» إلى الأبد.

وانطلق يجري إلى حيث موقف الحمير ... ووصل وأنفاسه متسارعة إلى المكان، ولم يكَد يتوقَّف ليلتقط أنفاسه حتى أحسَّ بشيء يمرق في الظلام، ثم أحسَّ بجسدٍ دافئ يلتصق به ... ولسان رطب يمسح يدَيه ... كان «زنجر»! لم يشعر «تختخ» في حياته بفرحةٍ كالتي أحسَّ بها في تلك اللحظة ... وحمل الكلبَ الأمينَ الشجاع بين يدَيه، ووضعه على الحمار، ثم قفز هو أيضًا وانطلق في الطريق إلى منزل «عوَّاد» حيث سبقهما «محب» ومعه «الروبي» و«عوَّاد». عندما وصل «تختخ» إلى المنزل كان الأصدقاء جميعًا في انتظاره. كان «الروبي» يتناول طعامًا، فقال له «تختخ»: إني أُريد أن تروي قصتك بسرعةٍ حتى أعرف ماذا حدث بالضبط وحتى نتصرَّف سريعًا.

أنهى «الروبي» طعامه وأخذ يشرب كوبًا من الشاي ويتحدَّث: جئتُ أعمل في هذه الحفريات من قريةٍ صغيرةٍ في الصعيد، ولاحظتُ من أول يوم في العمل أن هناك شخصًا يُدعي «هوَّاري» من قرية هوَّارة المجاورة للحفريات يتمتَّع بنفوذٍ قوي بين العُمَّال؛ فهو يرأس مجموعةً منهم تقوم بالحفر بحثًا عن قبر الملك، أمَّا أنا فأعمل مع مجموعةٍ أخرى في البحث عن جدران قصر التيه. وذات يوم عثرتُ على فتحةٍ كبيرةٍ في الأرض، وعندما دخلتُ فيها ودقَقتُ على جدرانها أدركتُ أن خلفها فراغًا، وهذا يدل أحيانًا على وجود مقبرة، فأغلقتها وذهبتُ لإبلاغ مفتِّش الآثار. وبينما كنتُ أبحث عنه قابلني «هوَّاري»، وعندما علم أنني أبحث عن المفتِّش سألني عن السبب فأخطرته باكتشافي، فطلب مني أن أسير معه ليدلَّني على مكان المفتش، وسرنا طويلًا، ثم فوجئتُ بأنني أصبحتُ قرب قرية هوَّارة، وإذا «هوَّاري» يُشير إلى بعض أقاربه فيُحيطون بي، ثم أدخلوني بالقوة منزلًا وحبسوني فيه، وطلب مني «هوَّاري» أن أدلَّه على مكان الفتحة التي عثرتُ عليها، ولكني رفضت،

فضربوني ضربًا شديدًا، ولكني بقيتُ مُصِرًّا على الرفض ... وذات يوم حضر ومعه صحيفة، وجلس يقرأ ما نُشر بها عن احتمال وجود مدخلٍ خفيٍّ لقبر الملك «أمنمحات»، وقال لي إنه يعتقد أن الفتحة التي وجدتُها هي المدخل الخفي للقبر، ووعدني بمبلغٍ كبير إذا أنا دللتُه على الفتحة.

وصمت «الروبي» لحظات، ثم مضى يقول: وأخبرني «هوَّاري» أنه يعمل لحساب الدكتور «رياض» العالم الأثري المعروف، وكنتُ قد عملتُ معه في حفريات قديمة ... فقلت له إنني على استعدادٍ لأن أدلَّه على مكان الحفرة إذا قابلني بالدكتور «رياض» فوافق على ذلك.

وخرجنا ذات مساء من المنزل ومعنا من أعوانه حارس إلى «القاهرة»، ومنها إلى المعادي، حيث كنتُ أعرف مسكن الدكتور «رياض» من قبل. ووصلنا إلى المعادي وقال لي «هوَّاري» إنه سيُقابل الدكتور أولًا حتى يُخبره قبل أن يراني، فانتظرتُ مع الحارس الذي كان يحمل مسدسًا، وغاب «هوَّاري» قليلًا، ثم عاد وأخبرني أن الدكتور لا يستطيع مقابلتي الآن، فلم أُصدِّقه، وعرفتُ أنه يخدعني ... فقلتُ له إني إمَّا أن أرى الدكتور أو لا أُخبره بشيء على الإطلاق، وتشاجرنا ... وكان منزل الدكتور قريبًا منا فاندفعتُ إليه ... وطاردني «هوَّاري» والحارس داخل الفيلا واستطاعا اللحاق بي، وحاولا قتلي لولا وصول الدكتور «رياض» في الوقت المناسب، وقد رأيتُه قبل أن يغمى عليَّ.

نوسة: ولكن ما سر ورقة الجريدة التي وجدها «محب» في مكان المعركة؟ لماذا كنتما تتصارعان عليها؟

بدت الدهشة على وجه «الروبي» وقال: نتصارع عليها؟! أبدًا ... لقد كانت الجريدة في يده بالمصادفة مفتوحةً على الصفحة التي بها موضع البحث عن قبر الملك، في أثناء الصراع تمزَّق جزء منها، وهذا كل ما هنالك!

نظر الأصدقاء بعضهم إلى بعض وابتسم «عاطف» قائلًا: شيء مذهل! ... فلولا قطعة الورق هذه لما تحرَّكنا!

محب: ولكن كيف خطفوكَ من المستشفى؟

الروبي: لا أدري؛ فقد أعطاني الأطباء في المستشفى مخدِّرًا للتخفيف من آلامي فنمت، ولَمَّا استيقظتُ وجدت نفسي في هوَّارة مرةً أخرى. وتحت تهديد السلاح اضطُررتُ إلى مجاراة «هوَّاري».

قالت «لوزة» بحزن: ودللتَه على مكان الفتحة؟

هزَّ «الروبي» رأسه قائلًا: لا، لم أدله على الفتحة، ولعلي لا أستطيع أن أدل أحدًا على الإطلاق!

تختخ: كيف؟

الروبي: نسيتُ مكان الحفرة تمامًا؛ فقد هبَّت عاصفة رملية على مكان الحفريات أخفتْ كثيرًا من معالمها ... وسأحتاج إلى وقتٍ طويل حتى أتذكَّر مكان الحفرة مرةً أخرى ... وقد لا أتذكَّرها أبدًا ... وبخاصةٍ بعد الذي قاسيتُه وما أصابني من معاملة «هوَّاري» ورجاله.

تختخ: لقد سمعتُهم يتحدَّثون عن أوانٍ نفيسة وحُلِي ذهبية استولَوا عليها.

الروبي: يبدو أنهم في أثناء الحفر يخفون بعض ما يجدون.

محب: ماذا نفعل الآن يا «تختخ»؟

وقف «تختخ» في انزعاج قائلًا: ياه! لقد أضعنا وقتًا طويلًا، وقد انتصف الليل ... هيَّا إلى قسم السواحل ... سنُقابل الضابط المسئول، ونروي له ما حدث، ولا سيما أن جزيرة القرن الذهبي تقع في قلب بحيرة «قارون» وهو مسئول عنها.

وأسرع «تختخ» و«محب» و«عوَّاد» إلى القسم القريب، وطلبوا مقابلة الضابط الذي قابلهم مندهشًا، ولكنهم عندما رووا له قصتهم اهتمَّ بها جدًّا، وقال إنه يسمع عن «هوَّاري» الكثير ويعرف أنه يقود عصابةً خطيرة.

وسرعان ما كان قارب خفر السواحل الضخم يتحرَّك في اتجاه الجزيرة الصغيرة القابعة في وسط المياه ... وعندما وصلوا إلى شاطئ الجزيرة شاهدوا قاربًا به بضعة أشخاص يتحرَّك مسرعًا خارجًا من الجزيرة، فسُلِّطت عليه أضواء الكشَّافات القوية، وإذا بطلقةٍ نارية محكمة تنطلق من القارب فتُصيب الكشَّاف الكبير فينطفئ ... وأسرع الضابط ومعه الأصدقاء إلى «الميكروفون»، وتحدَّث فيه إلى من في القارب قائلًا: من الأفضل لكم أن تستسلموا؛ ففي إمكاننا تحطيم القارب وإغراقكم!

ومرةً أخرى انطلقت رصاصة محكمة أصابت كشَّافًا آخر، ولم يبقَ سوى كشَّاف واحد، وهنا أجرى الضابط مناورةً سريعةً بالقارب، فدار دورةً واسعةً حول القارب الهارب، ثم صاح برجاله: استعدوا! ... سنصدم القارب وعليكم بالقفز في المياه والقبض على هؤلاء اللصوص.

ونجحت المناورة وأمسك الأصدقاء بالأعمدة الحديدية حتى لا يسقطوا عندما تتم الصدمة.

وتمَّت الصدمة بنجاح، وعلى ضوء الكشَّاف الباقي كان رجال السواحل يُطاردون اللصوص في المياه، واستطاعوا القبض عليهم جميعًا.

ولم يمضِ نصف ساعة حتى كان «هوَّاري» ورجاله مقيَّدين في إحدى غرف القارب البخاري الضخم وهم ينظرون إلى الأصدقاء في حقدٍ قاتل.

وكان رجال السواحل قد وجدوا في يد «هوَّاري» حقيبةً بها كمية ضخمة من الآثار الفضية والذهبية، ذُهل الأصدقاء وهم يتفرَّجون على روعة صياغتها وجمالها.

في صباح اليوم التالي كان الأصدقاء في طريقهم إلى «القاهرة» مرةً أخرى ... وعندما وصلوا إلى المعادي أسرعوا يتصلون بالمفتش «سامي» الذي حضر سريعًا ليسمع القصة كاملةً منهم بعد أن أخطرته شرطة «الفيوم» بالقبض على عصابة «هوَّاري» والعثور على كمية الآثار المسروقة.

وفي حديقة منزل «عاطف» ... ومع أكواب عصير الليمون روى «تختخ» للمفتِّش ما حدث، وعندما انتهى من القصة قال: هناك شيء لم أعثر على تفسير له حتى الآن ... وهو سر اختفاء الدكتور «رياض» المفاجئ.

وابتسم المفتش قائلًا: لقد انشغلتُ أنا أيضًا بهذا، ثم عاد الدكتور «رياض» فجأةً كما اختفى فجأة، واتضح أنه تلقَّى برقيةً مزيَّفةً بأن شقيقته التي في الإسكندرية أُصيبت في حادث سيارة، فأسرع إلى هناك، حيث اكتشف أنه ضحية خدعة ... لقد أرادت العصابة إبعاده لأنه الشخص الوحيد الذي شاهد وجه «هوَّاري» والحارس.

قالت «لوزة»: إذا كان ذلك شيء لم نستطِع تفسيره، فهناك شيء أسفت له.

المفتش: ما هو؟

لوزة: إن مدخل القبر الملكي للملك الفرعوني «أمنمحات الثالث» اختفى مرةً أخرى.

ابتسم المفتش قائلًا: لعلَّها لعنة الفراعنة التي طاردت كلَّ من حاول الكشف عنهم ... فقد وضعتْ «هوَّاري» ورجاله في السجن، وعرَّضَت «الروبي» لمحنة قاسية.

لوزة: وهل تُؤمن بلعنة الفراعنة يا حضرة المفتش؟!

هزَّ المفتش رأسه قائلًا: من يدري؟ ... إن هناك أسرارًا كثيرةً في هذا العالم، ولعلَّ لعنة الفراعنة أحد هذه الأسرار.


هنداوي